حماية الفنون الأهليّة وتنميتها



مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

رسائل متفرقة فى التربية

حماية الفنون الاهلية وتنميتها

تقـــرير جماعة من الخبراء

اجتمعوا بدعوة من اليونسكو ما بين ١٠-١٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩

دار اليونسكو - باريس

المحتـــويات

صفحة

ماع الخبراء.. 7

فردى الاول :

الاهلية فى الكونغو البلجيكية وفى روانـدا اورندى
م. جـادوت ٢٥

فردى الثانى :

لفنون الاهلية وتنميتها فى البلاد ذات الحضارة الصناعية
، فرنسا على وجه التخصيص ـ ب . ل . دوشارتر ٤١

فردى الثالث :

ون الاهلية فى اندونيسيا ـ الاستاذ ث. جالســتن ،
.كتــور ح.و. لوشر ٦٩

لفردى الرابع :

الاهلية فى بيرو ـ لويس أ. فالكارســل ٩٣

سماء الاعضـاء ١٠٣

مقـــدمة

لقد اتخذ المؤتمر العام لليونسكو فى دورته الثالثة المنعقدة ببيروت ، قرارا يقضى على المدير العام أن يقوم بتوسيع نشاط مركز جمع المعلومات وتبادلها بحيث يتناول موضوع التربية الاســاسية ، ويعمل على « جمع وتوزيع المعلومات المتعلقة بحماية الفنون الاهلية وتنميتها » .

وبما أن الموضوع موضوع معقد ويحتاج الى تخصص ، فقد رؤى من المفيد استشارة جماعة من الاخصائيين فى تعيين خير الوسائل لتنفيذ هذا القرار . ولذا ، فقدجرى اجتماع الخبراء بباريس واستمر منعقدا فيما بين ١٠ – ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٤٩ ، فرفع كل من هؤلاء تقريرا عن تجاربه الخاصة ، ثم أعقبت ذلك مناقشات أسفرت عن وضـع محضر عام مقتضب .

أما هذه الوثيقة ، فانهـا تعكس ما دار فى اجتمـاع الخبراء ، والآراء التى عرضت هنا هى بطبيعة الحال آراء الخبراء جماعـة أو أفرادا ، ولا تعبر حتما عن آراء المدير العام لليونسكو .

هذا واننا نرجو أن توجه المراسلات الخاصة بهذه الوثيقة أو غيرها من « الرسائل المتفرقة فى التربية » الى العنوان التالى :

المدير العـام

اليونسكو ١٩ شارع كليبر باريس ١٦
ويكتب عليها : مرسلة الى دار النشر للتربية

تقرير
عن اجتماع لجنة الخـــبراء
فى موضـــوع
صيانة الفنون الاهلية وتنميتهـا

١٠ ـ ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩

القسم الأول

لقد قرر الخبراء المجتمعون أن يستعملوا عبـارة « الفنون الاهلية » "Popular Arts"للدلالة بها على ما نسميه عادة بالفنون البـدائية و « الفنون الفولكلورية » و « الفنون الاقليمية » و « الفنون الغريبـــة » و « فنون المستعمرات » الخ ‥ وقد حذروا من اقامة خط فاصل دقيق بين الفنون الاهلية وبين ما نطلق عليه اسم « الفنون العليا » أو « آثار أساطين الفن » .

فئـــات الفن :

وقد قرر الخبراء فى اجتماعهم الاول تقسيم الفنون الاهلية الى الفئات الاربع الآتية : ١) فنون النحت والتصوير ٢) الفنون التطبيقية ٣) الموسيقى والرقص والتمثيل ٤) الادب أو الفنون اللفظية . وقد تتطلب كل من هذه الفئات معالجة خاصة .

أهمية المشكلة ولزومها :

لقد أجمعت الآراء على أن المشكلة التى أثارتها منظمة اليونسكو لعلى جانب كبير من الاهمية للاسباب الآتية :

١ ــ انحطاط الفنون الاهلية نتيجة لسرعة اتساع المدنية الحديثة .

٢ ـ قيام حركة ميمونة لبعث الفنون الاهلية جوابا على ما جرته الصناعة الحديثة من توحيد أشكال المنتجات ومقاييسها Standardisation

٣ ـ الحاجات الاقتصادية التى تواجهها الشعوب والجماعات غير الصناعية فتدفع بها الى الانتاج بقصد التصدير •

٤ ـ وجوب المحافظة على شخصية الشعوب الثقافية على اعتبارها من مستلزمات تنوع الحضارات •

٥ ـ المكانة التى تحتلها الفنون الأهلية فى مناهج التربية الاساسية •

دراسة ثلاثة أنواع من الحضارة :

ولكى يتمكن المختصون من تكوين فكرة جلية عن المسألة فقد قرروا أن يبحثوا مشكلة الفنون الاهلية فى ثلاثة أنواع من الحضارات :

١ ـ الحضارات القبلية (كما هى الحال فى بعض شعوب الكونغو البلجيكى وأمريكا الجنوبية) •

٢ ـ الحضارات الراقية فى البلاد غير الصناعية (كأندونيسيا والبيرو هايتى ـ وتعد الاخيرة حالة خاصة) •

٣ ـ الحضارات المعروفة بالحضارات الصناعية (كما هى الحال فى فرنسا) •

وقد استشهد الباحثون بسلسلة من الامثلة الواضحة للدلالة على تنوع جوانب المشكلة وتعقدها فى كل من هذه الانواع الثلاثة من الحضارات ، ومهما يكن من شىء فقد استطاع المؤتمر من خلال تلك

الدراسات المتنوعة أن يستخلص مبادىء عامة يمكن تطبيقها على الانواع الثلاثة معا • فمن النادر مثلا أن نجد الآن مجتمعا ينحصر فنه فى داخل حدوده ، لان التبادل يبدو أثره فى كل مكان فيسفر عن تأثير عميق فى تقدم الفنون الشعبية ، ولذا ، فان المسألة لم تعد ذات أهمية محلية خالصة ، بل أصبحت مسألة يهتم بها العالم أجمع اهتماما متزايدا •

هذا ، ويمكن أن نلاحظ أيضا أن أشكال الفنون الاهليـــة على اختلاف أنواعها تلاقى المزيد من الاهتمام والفهم •

التأثيرات الاقتصادية والثقافية :

يجب أن نولى النـــاحية الجمالية لمشكلة الفنون الاهلية عنـــاية تضاهى عنايتنا بالناحية الاقتصادية ، اذ لو رجحت كفة الاعتبـــارات الاقتصادية لتكشف ذلك عن كارثة من الناحية الجمالية، كما حدث مرارا • كما أن حصر الانتباه فى الناحية الجمالية للفنون الاهلية واهمال الناحية الاقتصادية من شأنه أن يضر بتلك الفنون ويؤدى الى نضوب معين الحياة فى أى حركة فنية عامة •

ولا يسهون عن البال أن فى وسع الفنون الاهلية أن تســاعد على النهوض بمستوى حياة كثير من الشعوب بطريق مبـــاشر كما يشهد بذلك التاريخ الحديث لهنود «نافاخو » فان حركة احياء فن النســـيج والصياغة وتنميته بين هؤلاء الهنود قد ساعدت على انعـــاش اقتصاديات القبيلة ، وليس من شـــك أيضا فى أن الفنون الاهليـــة توحى الى من يمارسونها الاعتداد بالنفس وتساعد على انشاء مجتمع سليم •

ونحن اذا توخينا تشجيع الفنون الاهلية فى بيئة خاصة كان علينا أن نبحث أولا فى ايجاد الاسواق التى تستوعب انتاجها ، سواء فى الداخل أو فى الخارج ،اذ من الخطر أن نحث على الحماس والنشاط دون أن نضمن مكافأة لاصحابهما •

ومن العبث أن نتجاهل الاثر البعيـــد الذى يترتب على حركة السائحين وأثرها فى الفنون الاهلية فى بلاد كثيرة ، ويتوقف هذا الاثر ـ حسنا كان أو سيئا ـ على جودة المصنوعات التى يشتد عليها الطلب• وهذا معناه انه لا بد من معالجة المسألة معالجة مزدوجة ، فيجب أولا أن نعمل على ارهاف أذواق المشترين وأن نشرف اشرافا حصيفا على الانتاج ، وثانيا ، أن نترك حرية العمل التامة للفنـــان والصانع وأن نقيه من النزوع الى الكسب السهل مضحيا فى سبيل ذلك بالاتقان سواء من الناحية الفنيـــة والصناعية أو من حيث المادة التى يستعملها •

الفنانون المحترفون والفنانون الهواة :

ويوصى المؤتمر بوجوب مراعاة التمييز دائما بين الفنان الذى يتخذ الفن وسيلة للكسب والفنان الذى يمارس الفن من أجل الفن •

وينبغى لمنظمة اليونسكو أن تشمل بنشاطها ما يقوم من محاولات لاحياء التذوق الفنى بين الجماهير • فالجمعيات الفنية تعمل على ايجاد أواصر التفاهم المتبادل بين أعضـــاء الجماعات البشرية ، فلا غرو اذا اتسع نطاق هذا التبادل والتعاون وانتقل من أصغر المجتمعات الى أكبرها•

مركب النقص :

أجمع الخبراء على الاشارة الى الصعوبات الناتجة عن الشعور بالنقص المتفشى بصوره المختلفة ، بين منتجى الفنون الاهلية وبقية السكان على حد سواء • فكثيرا ما يعتبر الناس ممارسة الفنون الاهلية التقليدية مظهرا من مظاهر التأخر بل من مظاهر البربرية ، وفى ذلك ما فيه من خطر على مصير هذه الفنون اذ يعرض عنها بعض الناس ويمارسها بعضهم الآخر خلسة فلا يعود التعبير الفنى مصدرا للذة والغبطة بل باعثا على الضعة وذلة النفس •

وقد اتفق الخبراء جميعا على استنكار كل محاولة مصطنعة من وحى الخارج لانتاج فنون ذات صبغة بدائية زائفة ، واعتبارها محاولة عقيمة ذات أغراض مستورة ترمى الى الحيلولة دون التطور الذى ينشده المجتمع •

ويرى المؤتمر ضروريا أن تعتبر الفنون الاهلية ظاهرة حية متطورة كأية ظاهرة ثقافية فى عالمنا الحديث ، وقد أكد المؤتمر مرارا أن نظرتنا للفن الاهلى يجب ألا تكون كنظرة عالم الآثار الذى يقيم من نفسه حارسا على الماضى ، بل كنظرة عالم الاجتماع الذى يسجل تطورات المجتمع ويتطلع الى المستقبل • ومن الطبيعى أن تساير مثل هذه النظرة ، فى الحاضر ، الرغبة فى المحافظة على تلك الاشغال الفنية التى أوشكت على الزوال • فرب طائفة من أنواع الفن التى تعرض عنها المجتمعات الآن ، لو وجدت من ينقذها قبل فوات الوقت ، لامدت أولئك الذين أعرضوا عنها بمصدر من مصادر الالهام حين يلتفتون الى تاريخهم القديم يستوحونه ويقتبسون عنه •

تعليم الجمهور :

تستطيع اليونسكو أن تقوم بدور بالغ الاهمية فى تفهيم الفنون الاهلية وتقريبها الى الاذهان ، وذلك بالاستزادة من تنظيم المعارض المتنقلة، واذاعة النشرات الفنية الشعبية • ويأمل الخبراء ألا تقتصر دراسة الفنون الاهلية على نطاق منعزل ضيق ، بل أن يتسع تعليمها فيشمل محيطا أوسع وأعم• فلا بد من العمل على ازالة الاعتقاد بأن للفنون مراتب متفاوتة الاهمية وأن ما تستحقه من الاحترام يختلف باختلاف المراتب التى صنفت فيها عفوا • وقد تطرقت المناقشة أيضا الى مسألة ادخال تعليم الفنون الاهلية فى برنامج المدارس الابتدائية ، ولكن اتساع مدى هذا الموضوع حمل الخبراء على الاقلاع عنه ، اذ يستحيل عليهم أن يوفوه حقه فى مؤتمر قصير كهذا المؤتمر •

أثر الرقابة الرسمية فى حرية العمل وحدودها :

لا بد للارتقاء بالفنون الاهلية من الاعتماد على تدخل الهيئات الرسمية تدخلا مقرونا باطلاق الحرية على مدى واسع • وينبغى أن تلزم الرقابة الرسمية جانب الحذر فتقصر مهمتها على ايجاد الحلول الاقتصادية لمشكلات المنتجين وصيانة كيانهم المهنى ، وحمايتهم من الاستغلال ، ولاتتعدى ذلك الى فرض قواعد يلزمونها فى فنونهم • فمن السخف أن تقوم ــ فى عالم يسير نحو المزيد من تبادل الاتصال الثقافى ــ محاولة مهما كان نوعها لاحاطة الفنون الاهلية بسياج متكلف ابقاء على

صفاء وهمى فى الاساليب الفنية• ويجب أن لا نبالغ فى التخوف من خطر العدوى الذى قد ينجم عن اطلاق حرية الاتصال لما قد ينطوى عليه هذا الاطلاق من فائدة فى ابتداع أشكال فنية جديدة جديرة بالاعجاب • فكل أسلوب يعزل عن العالم الخارجى يصاب بالعقم وينتهى أمره الى الفناء •

القسم الثانى

يعتقد الاخصائيون أن التقرير السابق يبين بوضوح مدى الحاجة الملحة الى حل المشاكل التى طلب اليهم بحثها ، ولن تقتصر التوصيات التى يقدمونها فيما يلى ، على نشاط قسم التربية الاساسية بل تتجاوزه الى دائرة النشاط الثقافى لليونسكو بأقسامها المختلفة •

التوصيات :

١ ـ يجب أن تعمل هيئة اليونسكو على تنمية أوجه نشاطها فيما يتعلق بتبادل المعلومات وتوسيع نطاقها • (وتشمل هذه الاوجه : النشرات ، والوثائق ، ولوازم المعارض الخ ••)

٢ ـ يجب أن تسعى اليونسكو قبل انتهاء سنة **١٩٥٠** الى نشر نتائج حلقة البحث التى ورد ملخص لخطتها فى الملحق «ا» •

٣ ـ يجب أن تنظم اليونسكو دراسات خاصة تتناول بعض الاعمال المعينة التى سبق القيام بها لتنمية الفنون الاهلية فى أجزاء مختلفة من العالم • وفيما يلى نذكر على سبيل المثال بعض الدراسات التى يمكن أن يقوم بها المختصون فى بقاع مختلفة اذا لزم

الامر فيكون لها أثر كبير فى توجيه نشاط اليونسكو فى هذا الميدان فى المستقبل :

ا) أثر تدخل الدولة فى نمو الفنون الاهلية فى مراكش .

ب) التنظيم التعاونى لارباب الحرف وأثره فى مستوى المعيشة فى المقاطعات الوسطى من الهند .

ج) الدورالذى تؤديه المتاحف المحلية فى رقىالفنون الاهلية.

٤ ـ يجب أن تمد اليونسكو بتشجيعها وأن تساعد ، ما استطاعت ، الجهود التى تعمل على تسجيل مظاهر الفنون الاهليـــة التى يخشى عليها من الزوال فتساهم فى صيانة التراث الثقافى لقسم كبير من العالم .

٥ ـ يجب أن تنظم اليونسكو فىالوقت المناسب اجتماعا آخر للخبراء لكى ينظروا فى خير الوسائل لتنفيذ المقترحات الواردة فى هذا التقرير .

الملحق « ا »

منهاج لحلقة بحث ــ تقام لمعالجة موضوع الفنون الاهلية فى العــالم الحديث

مقـــــدمة

آراء عامة ـ قائمة بالمشكلات الاساسية التى تثيرها الفنون الاهلية فى الوقت الحاضر

١ ـ انحطاط الفنون الاهلية (ايراد بعض أمثلة واقعية عن ذلك).

٢ ـ مثال لادخال نوع مختلف من الثقافة الى بعض المناطق. الموسيقى الحديثة وأثرها على الموسيقى الشعبية .

٣ ـ بحث حالة أو أكثر بعثت فيها الفنون الاهلية من تلقاء نفسها أو بسبب عوامل خارجية أدت الى هذا البعث .

٤ ـ أمثلة تبين العواقب الاقتصادية والاجتماعيـــة التى تنجم عن ممارسة الفنون الاهلية .

٥ ـ الصلة بين أرباب الحرف ، والفن الاهلى ، وآثار كبار الفنيين وبين المدنية الحديثة (فرنسا) .

٦ ـ الفن الاهلى فى احدى الحضارات الراقية فى بلاد لم تصبح صناعية بعد (اندونيسيا) .

٧ ـ الفن الاهلى فى الحضارات القبلية (الكونغو) .

٨ ـ مركب النقص والفنون الاهلية .

٩ ـ فهم الفنون الاهليـــة .

١٠ ـ الوسائل المستخدمة ونتائجها .

الخــــــلاصة

التقرير الفردى الاول

الفنون الاهلية فى الكونغو البلجيكى وفى رواندا ـ اورندى

بقلم ج. م. جادو

لقد لاحظ رواد أواسط افريقية الاوائل ـ ومن بينهم بعض الفنانين ـ أن الافريقيين يحبون الجمال ويميلون الى التعبير عنـــه فى كثير من أشغالهم اليدوية . وقد تبين ان تلك المنتجات ، وان كان بعضها يدخل فى نطاق ما يمكن تعريفه بالفن الاهلى أو التطبيقى ، الا أن البعض الآخر ـ ولاسيما التماثيل والاشياء المصنوعة من الحديد المطروق ـ لايمكن أن يصوغه الا فنانون حقيقيون وأساتذة جديرون بكل تقدير واحترام .

ولم يزدهر الفن ازدهارا متساويا فى النوع والرونق بين القبائل جميعا ، فمعظمها يعبر عن فنه بالنسيج وصناعة السلال والخزف ويظهر فى زخرفتها جميعا ميلا الى الزخارف الهندسية . وهناك ، الى جانب تلك الفنون الصغيرة ، فن يغلب عليه الطابع الرمزى وهو فن الحدادين وصانعى الاقفاص ، وفن حفر الاخشاب والعاج ، وقد انتعشت تلك الفنون خاصة حيثما تبوأت الحكم أسر حاكمة صغيرة من داخل البلاد أو من خارجها .

أما الفنون الصوتية ، وأهم فروعها الموسيقى والرقص ، فانها منتشرة فى كل مكان ، ولكن ليس لفن النقش بالالوان المائية ورسم اللوحات من أثر يذكر وربما كان ذلك راجعا الى ماهى عليه اللوحات والالوان من عدم الثبات وقلة التحمل ٠

وفى «رواندا اوراندى » ، حيث يعيش بعض الرعاة وفلاحو الباتو وبعض الصيادين من الاقزام جنبا الى جنب يمكن التأكيد بأن الفنون الصوتية المتصلة بحياة الاسر الحاكمة أو بحياة الرعاة كانت أسبق الى الظهور من بعض الفنون الاخرى المقتصرة على الزخرفة وصباغة الجلود وصناعة السلال ٠

وعند ما علم الملك ليوبولد الثانى بذلك من معاونيه الاولين الذين فتحوا الكونغو ، أمرهم بأن يحرصوا على حفظ تلك المصنوعات الاهلية ذات الطابع الفنى كلما اتفق لهم أن يصادروا شيئا منها كعقاب على ارتكاب الجرائم ٠ والواقع ، ان تلك الاوامر كان لها الفضل الاكبر فى تأسيس متحف « تيرفيرن » بمجموعاته الشهيرة ٠

وقد صنفت تلك المجموعات تحت اشراف علماء السلالات البشرية (الاثنوجرافيين) تصنيفا علميا ، ولئن كان هذا التصنيف لم يول عنصر الجمال الفنى سوى أهمية قليلة الا أنه أتاح المحافظة على تلك القطع الفنية السهلة العطب والتى كانت أثمن شاهد على الثقافة المحلية قبل استعمار الكونغو، وفى ذلك منفعة كبيرة لنا ولمستقبل الثقافة فى الكونغو٠

ولقد أدى القرار الذى أصدره الملك ليوبولد بعد ذلك ، بأن

تحكم شعوب الكونغو بطريقة غير مباشرة ، وبأن تحترم عاداتها وتقاليدها ما دامت لا تتعارض مع النظام الحضرى العام ، وبأن تتعلم بلغاتها الخاصة (كالسودانية والبانتو وغيرها) ، الى اهتمام بعثاتنا التبشيرية والقضـاة ، والضباط والموظفين اهتماما عميقا بنصوص الافريقيين الموسيقية المكتوبة وحركاتهم الايقاعيـة ، كما اهتموا بطريقـة تدوين تلك النصوص والحركات وبترجمتهـا ونشرها فى مجموعات من الوثائق الصحيحة والمعلومات الثمينة ، وان كانت هذه الوثائق تعد ناقصة اذا قيست الى مجموعة الاشغال التشكيلية « البلاسـتيكية » المحفوظة فى متحف « التيرفيرن » .

ولما اتصلت الثقافة الاوروبية بتلك البقاع كان لا بد لها من أن تحدث تأثيرا فى ثقافة أو ثقافات قبائل الكونغو فى ميدان الفنون الاهلية وفى سواه من الميادين ، والواقع أن مصنوعاتنا من الاقمشة وأدواتنـا الخزفية ، وآلاتنا وأسلحتنا قد غمرت أسواق الكونغو ، وسرعان ما حلت محل الاشياء المصنوعة من سعف النخيل ، وتحضيرها يحتاج الى وقت طويل ، ومحل الاطباق السهلة العطب المصنوعة من الفخار ، والاسلحة التى ليس لها أثر كبير ، والادوات المحلية ، وذلك بسبب بساطة أدواتنا ومتانة صنعها ورخص أسعارها ، أضف الى ذلك أن المنتجات الاوروبية المستوردة ، حتى ماصنع منها خصيصا لاجتـذاب المشترى من الاهالى ، كانت على العموم من أحط ما تنبو عنه الاذواق وخصوصا ما كان منها تقليدا زائفا لبعض الرموز الاهلية التى لم تكن قد أشبعت درسا بعد .

ولا ريب ان ما أثاره مشرعونا وأطباؤنا ومبشرونا فى أذهان سكان الكونغو من شكوك فى التقاليد السياسية والوضعية والمعتقدات فى السحر

وما اليه استمالت بعض الاهالى الى عقائدنا الدينية والعلمية والقـانونية، فأدى ذلك أحيانا الى « تحطيم الاصنام » ، كما يحدث عادة كلما حل ساحر محل آخر فى تقدير الناس واحترامهم • ويضاف الى ذلك ، ان السكان باختلاطهم بالاوروبيين قد يكتشفون فيهم تفوقا ظاهرا أو حقيقيا عليهم ، يحثهم على التساوى بهم فيعملون على تقليدهم تقليدا أبتر يتخلون فيه عن لغتهم وموسـيقاهم ورقصهم الدينى ـ الى حد ما ـ مستعيضين عنها بما يتميز به الاوروبيون •

ومن حسن الحظ ، أن أتيح لمهرة الصناع من الاهالى الذين يشتغلون فى مؤسساتنا الصناعية ، أن يدخلوا فى أعمالهم التصميمات الزخرفية المستقاة من تقاليدهم أو التى يبتكرونها بأنفسهم ، وان معظم الفنانين المستقلين أصبحوا يطبقون فى خدمة العقائد القـانونية والعلمية والدينية التى اعتنقوها مهارة فنية تضاهى المهارة التى أظهرها آباؤهم من قبل فى خدمة أفكارهم وآرائهم القبلية والوضعية واعتقاداتهم فى السحر وان الكتاب المحليين الناشئين ، الذين يكتبون بالفرنسية ، ومؤلفى الروايات والموسيقيين أصبحوا يأخذون مادتهم عن السودانية والسبانتو ، وهى المادة التى نقلناها لهم وعلمناهم أن يستوحوها فى آثارهم كما نفعل نحـن •

ومن المأمول أيضا أن يتأثر أولئك الذين يشـتغلون بالفنون الاهلية والموهوبون من العمـال فى الكونغو بأساليب رسامينا ونقاشينا ، فيعتنقون طريقتنا فى الرسم والتلوين ، وهى أقل عطبا وأكثر بقاء وتنوعا من طريقتهم ، وتزدهر بينهم فنون التصوير والتلوين التى لم يعرفوها حتى الآن •

ولقد أثرت حضارتنا بالفنون الاهلية الموروثة والفنون العامة فى الكونغو تأثيرا حسـنا أو سيئا ظهر بأجلى مظـاهره فى « رواندا ـ أوراندى » ، كما يحدث دائما عند ادخال صناعة حديثة لاول مرة الى الاقطار ذات الثقافة البدائية .

ولذا ، فاننا نعتقد أن المنظمات المختلفة التى تعمل على تقدم الكونغو وادماجه التدريجى فى العالم المتحضر ، لن تهمل تقـدم السكان الفنى وترك فنانيهم يعملون بوحى من سجيتهم ، فطالما نبه نقادنا الفنيون الذين يعجبون بالفن الزنجى ولاة الامر الى ذلك وطلبوا منهم ، أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يقيد عبقرية الفنانين الاهليين . وسألخص الآن الاجراءات المختلفة التى اتخذت فى هذا الصدد :

فى مستهل عام ١٩٢٢ ، أخذ كثير من الكتاب والناشرين البلجيكيين يلفتون أنظار السلطات والجمهور الى ضرورة صيانة الفن « الزنجى » ، كما كان يسمى فى ذلك الوقت . وقد انضم الى دعوتهم بعد ذلك بفترة قصيرة الفنانون البلجيكيون الذين توجهوا الى الكونغو بقصد التصوير أو النحت فى ذلك القطر . وفى سنة ١٩٣٤ أقنع أصحاب الدعوة أحـد النواب البلجيكيين باثارة ذلك الموضوع فى البرلمان ، فكانت النتيجة أن أنشأ وزير المستعمرات لجنة لحماية الفنون والاشغال اليدوية الاهلية فى الكونغو ، وكان لى شرف الاشتراك فى أعمال هذه اللجنة .

وأول ما قامت به هذه اللجنة ، التى تألفت بموجب مرسوم ملكى مؤرخ فى ٢٣ يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٣٥، هو العمل على استصدار مرسوم بحماية المشاهد والآثار والقطع الفنية المحلية. وقد أسفر نشاطها

هذا ــ وبعد أن تدخل مجلس المستعمرات فى الامر ــ عن صدور المرسوم المنشود فى السادس عشر من أغسطس (آب) سنة ١٩٣٩ .

وشجعت اللجنة فى الوقت نفسه ، تأسيس جمعية بلجيكية لمحبى الفنون والاشغال فى الكونغو البلجيكى أول أغسطس (آب) سنة ١٩٣٦ وانشاء فرع لها فى الكونغو ، وتكاتفت مع مصلحة الاستعلامات والدعاية بمكتب المستعمرات على تنظيم عرض لفنون الكونغو وأشغالها فى معارض دولية أقيمت فى بروكسل وباريس ولييج ونيويورك ، ونشرت بمناسبة أحد هذه المعارض مجموعة من الكتيبات المصورة ، بعنوان (الفن الافريقى) . وأخذت تطالب مكتب المستعمرات باجراء كل مايلزم لصيانة الفنون الاهلية فى « رواندا ــ اورندى وتنميتها » .

وقد حصلت الجمعية البلجيكية لاصدقاء الفنون والاشغال فى الكونغو على حق تحرير ورسم بعض الاعداد من « صحيفة الفنون الجميلة » ، فكرستها لدراسة فنوننا وأشغالنا ، وعنى عدد منها بتحليل فن أحد نحاتى الكونغو « ادالا » ، وبالتلوين المائى لاثنين من رساميه هما « لوباكى » و « جيلانتدو » وببعض الرسوم التى رسمها التلاميذ الوطنيون . وعنيت الجمعية كذلك بتنظيم حفلات راقصة فى بروكسل وبعض المدن البلجيكية الاخرى ، عرض فيها راقصون من الكونغو رقصاتهم الوطنية الاصيلة .

وقد أحدث فرع جمعية أصدقاء الفنون والاشغال فى الكونغو تيارا عاما يعطف على تلك الفنون والاشغال ، فساهم مساهمة فعالة فى صيانة وتنمية تلك الفنون بنشر مجلة تصدر أربع مرات فى السنة اسمها

(بروس) ، وبانشاء (متحف الحياة الوطنية) فى مدينة « ليوبولد فيل » حيث تبوأت الفنون مكانا بارزا ثم ألحق بذلك المتحف « ستوديو » للفن ومكتبا للبيع وأخذت الجمعية تزدهر ازدهارا مطردا بينما شرعت فروعها تستقل بنفسها بعض الشيء • ودفع هذا الاهتمام كثيرا من المدارس المهنية التى تنفق عليها الحكومة أو تعاونها وخصوصا فى مدن « بوتا » و « رنجو » و « جومب ماتادى » ، الى السعى لبث حب الجمال فى صدور التلاميذ ، وقامت فى (بوتا) فى سنة ١٩٣٦ منظمة لصانعى الرياش (الاثاث) والعاج بفضل تشجيع القاصد الرسولى فى ليوبولدفيل • وأخذت الارساليات الكاثوليكية فى الكونغو تعنى بتوجيه الاساليب الفنية الوطنية الوجهة التى تجعلها صالحة لخدمة الاغراض الدينية ، والطقوس الكنسية الخاصة بها فى ميادين الرسم والنحت والاثاث والملابس والزخرفة • وقد افتتح معرض للفنون الدينية بحضور ممثلى السلطات المدنية فى المستعمرة •

وقد ذاعت شهرة « كوليلها تفيل » و « اليزابثفيل » و « كابجاى » لما قامت به من نشر المؤلفات فى الفنون الموسيقية والصوتية بلغات «المونج» و « الشيلويا » و « السواحيلى » ، وتطبيق موسيقى البانتو على طقوس الكنيسة والتدريب المتقن والتمثيل • وفى سنة ١٩٣٩ ، أقامت مجلة «بروس» فى « ليوبولد فيل » مباراة أدبية للمثقفين من الوطنيين وعمدت الى نشر المؤلف الفائز بالجائزة •

وقد قطعت المواصلات ابان الحرب بين بلجيكا وممتلكاتها الافريقية وتوقف نشاط لجنة حماية الفنون والاشغال التى تأسست فى بروكسل

وظهرت فى افريقيا مشكلات أهم من المشاكل المتعلقة بألوان الفنون ، وتوقفت مجلة « بروس » عن الصدور ولكن « متحف الحياة الوطنية » بقى مفتوح الابواب للجمهور ، بل لقد نظم المتحف معارض استرعت الانظار فى مصر والقدس ودمشق •

أما فى ميدان الفنون التطبيقية فان ندرة المصنوعات الاوروبية والامريكية وغلاء أسعارها حمل السكان على العودة الى منتجاتهم التقليدية ، فعلا بذلك شأن الصناع الوطنيين •

وعادت المدارس المهنية الى الخطة التى كانت تنتهجها قبل الحرب أما الوطنيون المتعلمون فقد أغرتهم التيارات الحديثة والنظريات الجديدة فأصبح بعضهم مؤلفين باللغة الفرنسية أو رسامين نبذوا أساليب أسلافهم ظهريا •

وقد امتازت السنوات الخمس التى انقضت منذ انتهاء الحرب بأنها كانت حافلة بالعوامل الملائمة لصيانة الفنون وتقدمها فى الكونغو • ومن هذه العوامل :

ا) استئناف جمعية بروكسل نشاطها ، وهى الآن بصدد انشاء سلسلة مقالات عن فنون الكونغو •

ب) عودة جمعية أصدقاء الفنون والاشغال فى الكونغو الى نشاطها وعودة مجلة بروس الى الصدور بانتظام •

ج) تنظيم مباريات دورية فى الاشغال اليدوية وهى المسابقات التى يتولاها (متحف الحياة الوطنية) والتى يقدرها الصناع الوطنيون كل التقدير •

د) تطبيق النظم التى وضعت أثناء الحرب للاستعلامات وتكييفها على وقت السلم ، وفائدتها فى انشاء مجلتى « صـــوت الكونغو » و « المصور » وفى العمل على ابتكار خطة أساسية للتربيـــة الاساسية بواسطة السينما وتنظيم الاذاعات اللاسلكية وتأسيس المكتبات للافريقيين المتعلمين .

هـ) التشجيع الذى لقيته طائفة من المشروعات الفنية من الصــــندوق الاستعمارى للدعاية الاقتصــــادية والاجتماعيــة ، المؤسس فى بروكسل والمعروف الآن باسم مركزالاستعلامات والسجلات.

و) الترحيب الحار الذى استقبلت به المجلات الاوربية الصــــادرة فى الكونغو كمجلتى (R A. F.) و (باند) ، وهى الثمار الاولى التى أنتجها السكان المحليون فى حقلى الآداب والتصوير .

ز) زيادة اهتمام الصحافة المحلية بمظاهر الحياة الفنية أينما كانت .

ح) تأسيس « الاتحاد الافريقى للفنون والآداب » واصدار مجلته الخاصة (افريقية الفتاة) .

ط) ازدياد زيارات الفنانين البلجيكيين للكونغو .

ى) استقرار طائفة من هؤلاء الفنانين البلجيكيين فى الكونغو نهائيا حيث افتتح بعضهم استوديوهات فنية رائعة ، وبرهنوا على وجه العموم على انهم خير مرشدين لزملائهم الفنيين الوطنيين .

ك) تعزيز النشاط الفنى فى المدارس المهنية التى تنفق عليها الحكومة أو تمد لها يد المعونة .

ل) تشجيع الكنائس على استعمال مايصنعه الاهلون من الصور والرسوم والزخـارف الدينية ، وموافقة الفاتيكان على هـذا الامر وترحيبه به .

م) نشأة المسرح الاهلى واستقباله بالعطف والتشجيع .

ن) تنظيم المباريات الادبيـة بواسطة الهيئات المختلفـة وبعض الشخصيات أمثال : « موامى فى رواندا » و « شـارل ردوا هيجرا » و « ميوتارا الثالث » .

ويمكن أن نلخص القول فيما يلى :

١ ـ ينهض فن الزخرفة محتفظا بطابعه القـديم فى كل مكان تقريبا فى « رواندا ـ أوروندى » ، ولكنه يقتبس أساليب أجنبية ويثمر انتاجا جـديدا وكان ذلك الفن ، حتى الآونة الاخـيرة ، يراعى أذواق المشترين الرديئة ، ولكنه أصبح الآن فى مأمن من هذه الاذواق بفضل متحف الحياة الاهلية وبفضل ارساليات شارع « سان سولبيس ».
وقد تجلى نجاح هذا الاتجاه الحديث فىتطبيق الفن الزخرفى على صنع ورق الحائط والقماش المزخرف ، وفى أشغال القطع الصغيرة من أثاث المنازل والكنائس .

٢ ـ أما فى ميدان صناعة التماثيل فقد برزت طائفة من الفنـانين لا سيما بمناسبة المباريات الفنية التى نظمها « متحف الحياة الاهلية » ..
وتجدر الاشارة الى أنهم جميعا ينحدرون من القبائل التى خلفت لنا أثارا فنية قيمة .

٣ ـ وقد نشأت في الرسم ـ وهو ميدان جديد في الكونغو ـ مدرسة فنية تستخدم بعض ما نستعمله من الالوان والمبادىء والاساليب ، وتميل ميلا شديدا الى تقليد رسامينا ومحاكاتهم أكثر من الاعتماد على ملاحظة الطبيعة وبعثها حية من جديد أو رسم عالم من صميم خيالاتها • ويتطلب ممثلو هذه المدرسة تعليما يؤهلهم للوقوف على قدم المساواة من الوجهة الاقتصادية مع رسامينا ممن اطلعوا على انتاجهم • ومن الممكن تزويدهم بمثل هذا التدريب شريطة أن تحترم فيه مواهبهم الاصلية بقدر الامكان •

٤ ـ لا يزال حكماء القبيلة وقصاصها وشعراؤها يعلمون الناس ويرفهون عنهم ويثيرون عواطفهم بما يروونه لهم ، ولكن جمهورهم يتضاءل كثيرا بسبب ارتحال الشباب الى المدن حيث بدأ المتعلمون من هؤلاء يكتبون بأنفسهم ، مقتصرين ، في أغلب الاحوال ، على نقل ما علق بذهنهم من الآداب القبلية ، الى اللغة الفرنسية • ولكنهم يعدلون فيها فيقتبسون منها أحيانا القصص القصار أو الطوال حتى تلائم الذوق الاوروبي • ويحاولون أحيانا أن يصوغوا المقالات ، ولكن هذه المحاولات لم تلاق نجاحا كبيرا لما في ثقافتهم من نقص لا يتيح لهم التعبير الذي يتطلبه هذا النوع الادبي الدقيق •

٥ ـ أما في ميدان الموسيقى ، فان الآلات الوترية والهوائية والمعدنية لا تزال تملأ القرى بالانغام والاغاني القبلية • سوى ان الحال في المدن على عكس ذلك ، فالشبان العمال يفضلون أن يرقصوا السمبا أو البولكا • غير ان بعض المؤلفين الاهليين بدأوا يستوحون التقاليد في تأليفهم ناسجين على منوال بعض الاوربيين الموسيقيين ، وهؤلاء أيضا يطالبوننا باعداد التدريب الفني المناسب لهم •

٦ ـ لا تزال حفلات الرقص تقام فى الافراح أو الغابات على ضوء القمر الباهت ، دون ان تفقد الرقصات شيئا مذ تحـــررت من بعض خلاعتها • هذا ، وقد أدخل الرقص فى بعض المسرحيات الحديثة حيث يؤدى من جديد وظيفته العالمية الخالدة ، فيتيح له ذلك البقاء فى مأمن من خطر التلوث الذى يتهدده من الخارج •

٧ ـ وكان المسرح ، عندما وصلنا الى الكونغو ، يقتصر على قليل من رقصات (الباليه) تقوم بها قبيلة أو اثنتان ، ولكنه انتعش الآن بفضل المحاولات الموفقة التى قام بها فريق من الاوروبيين المهتمين بالموضوعات والاساليب التقليدية وبالمحافظة على طابعها وقد حدا ذلك ببعض الكتاب الوطنيين من الشباب أن ينسجوا على منوالهم •

٨ ـ وقد قام بعض السكان بالكونغو بالتمثيل فى أشرطة سينمائية ، فأصبح بامكانهم أن يساعدوا ذوى الشأن فى اخراج أفلام تعليمية لمنفعة الجماهير •

وهناك أمثلة ثلاثة حديثة تبين مقدار الاهتمام بتقدم الفنون الجميلة فى الكونغو :

ا) نشر أحد الناشرين فى (ليبج) قداسا موسيقيا لاربع أصوات من تأليف « جوزيف كيويل » صاحب (نشيدالنصر) و«سمفونية كاملة » بموسيقى البانتو •

ب) منحت لجنة من الكتاب البلجيكيين ، جائزة أدبية هامة فى عام ١٩٤٨ للكاتب « باء لومامى تشيبا مبا » مكافأة له على قصـــة وضعهـــا باسم : « نيجاندو » وقد نشرها منشىء الجـــائزة نشرا فاخرا •

ج) المعرض الذى نظمته فى «أنفرس» فى يناير (كانون الثانى) الماضى لجنة محلية للفن وعرضت فيه مصنوعات تشكيلية بلاستيكية لفنانين بلجيكيين يستوحون فيها زيارتهم للكونغو ، كما عرضت فيه أيضا مصنوعات عديدة أخرى لبعض النحاتين الشبان من أهالى الكونغو .

وانى لم أكد أذكر شيئا فى الصفحات السابقة عن العلاقة بين التقدم الفنى فى الكونغو وبين التربية الاساسية للوطنيين الذين لا يزالون يعيشون قبائل ، ولا حاجة الى القول بأن هذه القبائل تهتم اهتماما بالغا بالتقدم الفنى الذى يسجله أبناؤها ممن اعتنقوا طرق المعيشة الاوروبية وأدركوا الفن كما يدركه الاوروبيون . وان ما يوجهه النقاد الاوروبيون من ثناء الى فنانين أمثال « أوجر بولامبا » ، و « مونجيتا » ، و «كيوبل » يثير أعمق التقدير فى نفوس الذين تخلفوا فى مناطق الغابات. وان ثناء كهذا ليوقد فى نفوسهم شعلة الاحساس بالجمال ، ويجعلهم يقدرون المهارة الابداعية الكامنة فى جنسهم ، ويدركون القيمة الاقتصادية للعمل الفنى ، فيساهم ، بذلك ، فى تعليمهم من ثلاث نواح مختلفة . ولذا كان من المفيد استخدام المعارض المتنقلة والسينما كى تزداد معرفة الناس بما أحرزه شباب الكونغو من نجاح .

التقرير الفردى الثانى

حفظ الفنون الاهلية وتنميتها

فى البلاد ذات الحضارة الصناعية وخاصة فى فرنسا

بقلم « ب • ل • دوشارتر »

ملاحظات تمهيدية

يجب أن نحتاط كثيرا فى اعتبارنا لفرنسا وغيرها من غالبية الدول الاوروبية الاخرى « كحضارات صناعية » ، اذ تقوم الى جنب هـــذه « الحضارة الصناعية » نماذج أخرى متنوعـــة وقوية من « الحضارات الريفية أو الحرفية » •

أمثـــــلة

نجد بجوار مصانع « ترينياك » ـ فى مقاطعة اللوار الســفلى ـ اناسا لا يزالون يمتهنون تربية الحيوان على نطاق ضيق ، واقتلاع الفحم الحجرى وصيد السمك ، والاعمال اليدوية البسيطة ، وحياة هؤلاء الناس لم تكد تتغير منذ قرون طويلة •

وكذلك نجد ان حياة المراكز الصناعية الكبرى فى « البوىدىدوم»

كمصانع « كليرمون فيراند » و « ميشلان » لا تبعد عن حياة المراعى فى الريف الا مسافة طفيفة جدا .

المـــؤتمرات

ان التباين فى طرق الحياة ، وتنوع الخلق بين اقليم وآخـر ، واختلاف العقلية والتقاليد بين العمال والفلاحـــين ، أو بين عامل المدن وعامل الريف ، تحتم علينا الركون الى وسائل مختلفة وكثيرة المرونة اذا شئنا أن نحافظ على الفن الاهلى ، أو نعمل على نشره وتوسيع مداه أو بعثه فى مناطق متباينة كل التباين ، الا انها تمثل عناصر هامة تشترك فيها « الحضارات الصناعية » فى أوروبا الحديثة .

مشكلة الفنون الاهلية فى وضعها الحالى

يعود عهـــد انحطاط الفن الاهلى وتقهقره الى اكتشاف الآلة وانتشارها ، وهذا أمر لا نزاع فيه اذا قصرنا نظرنا على تلك النماذج من الفنون الاهلية الحرفية التى وجـــدت فى العصر الذهبى للحضـــارة اليدوية . وقد امتد هذا العصر فى فرنسا من عام ١٧٥٠ الى عام ١٨٤٠ تقريبا ، ولكن بعض الصناع اليدويين ما زال فى امكانهم انتاج المصنوعات ذات الطابع التقليدى التى تستهوينا الآن . ولا بد من الاشارة الى أن الاوساط « المثقفة » و « الفنية » كانت حتى انتشار الحركة الرومانتيكية أما جاهلة بالفنون الاهلية ، أو محتقرة اياها بحجة أنها سخيفة عامية[1] .

---

١) يستثنى من ذلك مونتانى ، ولافونتين ، وبيرولت .

ولذا ، وجب علينا أن نتجنب مثل هذا النقص فى الفهم ، وأن لا ننبذ أشكال الفن الاهلى التى قد تتفرغ فى الحاضر أوالمستقبل عن هذه الحضارة الصناعية ، على اعتبار انها لا تشابه الفنون الاهلية المعروفة فى الحضارة السابقة للعصر الميكانيكى .

واذا تركنا الحرف اليدوية البحتة جانبا ، اتضح لنا انقضاء فترة كافية من الزمن لابراز مقومات فن أهلى صناعى ، وسط الانتاج العادى الذى تخرجه المصانع الآلية ، ومن الواضح انه لا مجال لاثارة مشكلة حفظ الفن الاهلى والعمل على نشره ، لو ان منابع هذا الفن قد جفت فى روح الرجل الصناعى الحديث . وقد أصبحنا الآن نتساءل هل فقد الناس تلك القدرة الخفية التى أطلق عليها الدكتور اليكسس كاريل اسم « الحاسة الجمالية »[1] أعنى القدرة على خلق العمل الفنى أو فهمه أو مجرد التمتع بقطعة فنية أو أداة عملية ذات طابع فنى ؟

وهنا يمكن أن نستعير مجازا من لغة الاذاعة فنقول ان الانسان ذا الحاسة الجمالية يمكن أن يكون مرسلا أو مستقبلا ، واذا كان ذا مواهب خاصة جمع بين الصفتين . ويعتقد المتشائمون ان هذه الملكات قد خبت بين الجماهير أو كادت تضمحل بسبب ما فرضته آلية العصر الحديث ، من طرق الحياة ، وسوء استعمال الراديو والسينما ، وما الى ذلك مما يملأ أوقات الفراغ ، ويصرف المواطن فى الحضارة الصناعية عن تأدية « فريضته » نحو الفن ، ويحرمه من الوقت الكافى وحاسة التذوق اللازمين لتقدير الفن .

---

١) تقابل « حاسة الاتجاه » عند الحمام الزاجل ، وهى حاسة متغير وقابلة للتدريب ولكنها فطرية .

أما المتفائلون ، وكاتب هذا المقال واحد منهم ، بوصفه عضوا فى لجنة الخبراء ، فانهم يذهبون الى أن القدرات الفنية وان أصابها شلل وانحلال بسبب اهمال استعمالها ، أو لتعذر المناسبات الداعية الى هذا الاستعمال ، الا أنه يمكن ويجب تجديدها واحياؤها ، اذ أنها عامل هام فى « التربية الاساسية » ولا غناء عنها لازدهار الشخصية وتدعيم كرامتها وتوازنها ، ناهيك عما ينتج عنها من تحسينات مادية •

أمثلة لاقامة البرهان على ما سبق

سنقتصر على اقتباس مثالين فحسب ، بيد انهما يختلفان اختلافا كبيرا فى الدرجة والغرض :

والمثال الاول يتناول ضاحية من ضواحى باريس تعد حوالى ٣٠٠٠ نسمة لا تمتاز بأى طابع تقليدى خاص فى الفن الاهلى ، ولا يعرف سكانها من الغناء سوى ما يرنمونه فى الكنيسة وهو مليء بالنشاز ، أما الحياة الاجتماعية فلا أثر لها فى تلك الضاحية اذ ليس ثمة اختلاط بين الاوساط الاجتماعية المختلفة ، فتكشفت الحياة فيها عن ملل يئن منه الناس ومتعبة وضجر يعانيهما اصغار والشبان • وكان ذلك أثناء الاحتلال الالمانى لفرنسا ، فاستقرت سيدتان من المهاجرات فى هذه الضاحية وكانتا من هواة الموسيقى والرقص ، وما هى الا أشهر قلائل حتى نشأت جمعيات غنائية ، وعاود المنطقة تذوقالانغام الشعبية فانبعثت من جديد وأخذالفتيان يتدربون على الرقص ، وقام الهواة منهم بتنظيم الحفلات وابتكار الملابس ورصدوا ريعها لضحايا الحرب •

ان هذا ، لعمرى ، مثال بسيط ، صغير ، الا انه ذو أهمية واضحة ومعنى كبير ، لانه ليس فريدا فى بابه • أما المثال الثانى فانه يشير

الدهشة والاعجاب لسعة نطاقه ولما أسفر عنه من ابداع فى الجمال ، بل من نهضة للفن الاهلى فى كورنواى فى مقاطعة (برتانى) بمناسبة مهرجان « كويمبر » فى يوليو (تموز) سنة ١٩٤٩ وقد حضره ممثلان لليونسكو .

فقد استغرق مرور موكب الوفود القروية فى ذلك المهرجان ــ وهم فى ألبستهم التقليدية التى لحقها بعض التعديل الحديث ــ زهاء الساعة . وكانت تتقدم كل وفد من الوفود المزامير والطبول تعزف الالحان الاقليمية والوطنية الخاصة ، كما قام الفلاحون ببعض الاستعراضات المسرحية ، ناهيك عن مباريات الرقص والموسيقى وانتخاب ملكة لكورنواى .

ويضيق المكان عن الاسهاب فى وصف هذه التفاصيل ، ويكفى أن نشير الى روح الاصالة والوقار اللذين اتسم بهما هذا المهرجان الشعبى ، فكان ذلك برهانا قاطعا على زوال ما كان باديا الى وقت قريب من شعور بالنقص ، يتعلق بارتداء الازياء المحلية والاحتفاظ بالفنون والتقاليد الاقليمية . ولا بد من القول ان باعث الفن الشعبى فى مقاطعة بريتانى السفلى لم يكن الا خادم مقهى من المتقاعدين ولد فى هذه المنطقة .

الصعوبات

وعلى الرغم من هذه الامثلة وما يشابهها ، فمن العبث أن نتجاهل أن مشكلة الاحتفاظ بالفنون الاهلية ولا سيما العمل على انتشارها ونموها ، ستظل مشكلة معقدة يصعب حلها بسبب ما تركته الحرب العالمية الثانية من آثار سيئة فى جميع الميادين : كهجرة أسر برمتها من مواطنها الاصلية ، والاضطراب الاقتصادى وفقر الدوائر المثقفة التى تضم العناصر اللازمة لحركة احياء الفن الاهلى .

المناهج والخطوات التى يجب اتباعها

كثيرا مايمكننا أن نبلغ الهدفين اللذين نرمى اليهما ، وهما المحافظة على الفن الاهلىوتوسيع نطاقه ، باعتمادأسلوب مشترك لكليهما ، والواقع أن السعى لصيانة الفنون الاهلية يعنى نشرها وتنميتها والعكس بالعكس •

أما وقد أشرنا الى هذه الناحية ، فاننا سنعمد ، توخيا للوضوح ، الى التفريق بين صيانة الفنون وتوسيع نطاقها ، كلما كانت الطرق المبحوثة تتعلق بأحد هذين الموضوعين أكثر من الآخر •

صيانة الفنون الاهلية

فى الامكان تحقيق هذا الهدف بالوسائل الآتية :

١) المتاحف

١ ـ حفظ عينات من آثار الماضى وأبدع انتاج المعاصرين وجمعها وعرضها •

٢ ـ التربية والتعليم لتثقيف الجمهور وشحذ تذوقه، وذلك عن طريق :

ا) **القيام بزيارات ورحلات منظمة** للكبار ولطلبة المدارس الابتدائية والثانوية •

ب) تنظيم معارض موقتة لمنتجات الاقاليم المختلفة أو معارض متنقلة ترسلها عاصمة البلاد فتلفت بها الانظار الى الفن الاهلى الحديث •

ومما هو جدير بالذكر ان جميع المتاحف فى فرنسا قد وضعت منذ عام ١٩٤٥ تحت اشراف قسم التفتيش الاقليمى العام التابع لادارة المتاحف الفرنسية ، وبلغ عدد المتاحف الفرنسية بمختلف أنواعها حوالى ١٠٠٠ متحف •

والمتحف الرئيسى هو « المتحف الوطنى للفنون والتقاليد الاهلية » ، فى قصر «شايو » ، وهو غنى بمجموعاته ، بوجه خاص ، وبسجلاته التى ازدهرت بفضل المساعى التى قامت بها جماعة « معسكرات العمل الفكرى » ، فى جميع أنحاء فرنسا ، فى أثناء الاحتلال الالمانى وعلى رغم أنف هذا الاحتلال • هذا ، وتقوم فى الاقاليم بعض المتاحف المتخصصة فى نواح معينة مثل المتحف « الباسكى » فى «بايون» ، والمتحف الالزاسى ، فى «ستراسبورغ» و « المتحف البريتونى » فى نانت ، ومتحف «ارلاتن » فى آرل ••• كما أن كثيرا من المتاحف الاخرى تحوى قاعات خاصة بالفنون الاهلية الاقليمية ، أوتعتزم انشاءها •

العقبات

يحول الافتقار الى الاعتمادات المالية الكافية والى التسهيلات المادية اللازمة ، دون تنفيذ تصميم شامل رسمت خطوطه الكبرى منذ زمن •

العلاج

التبرعات التى تسمح بالمبادرة الى سد الحاجات الرئيسية •

ب) النشرات العلمية والفنية

لقد ساهمت هذه النشرات بقسط وافر في صيانة الفن الاهلى بأن أقنعت عددا وافرا من الناس ممن لم يكونوا يألفونه من قبل ، أن يعتبروه فنا مشرفا •

ولئن قل اتصال هذه النشرات بالجماهير ، الا أنها تبعث في هواة الفنون ميلا الى الفنون الاهلية ، كما تعمل على ضبط معلومات المتخصصين وتسجيل آراء الخبراء • وتشتمل الكتب من هذا النوع على فائدة كبيرة للمربين والمرشدين ، الممتهنين منهم والهواة •

العقبات

ان مثل هذه المنشورات لا بد أن تكون زاخرة بالصور واللوحات وتبلغ تكاليفها في الوقت الحالى وفى فرنسا على الاقل ، درجة تجعل ثمنها باهظا ، ولذا توقفت عن الصدور ، واحتفظت دور النشر بما لديها منها في الوقت الحاضر •

العلاج

وينبغى ، ريثما يعود التوازن بين الاجور والاثمان على الاقل ، بذل المساعدة على نشر كتاب أو أكثر من الكتب التى ينتظر لها الرواج بين عامة القراء الوطنيين أو الاجانب • ولا وجود الآن على الاطلاق لكتب مثل هذه بأثمان معقولة تيسر للناس الحصول عليها •

جـ) الخطوات اللازمة لحفظ الآداب المروية والموسيقى والرقص والمسرح الشعبى والازياء التقليدية

١ ــ بوساطة جماعات الفنون الاهلية (وقد تم توحيدها في فرنسا)•

لقد بدا ، منذ عام ١٩٣٧ ، تحسن ظاهر فى مستوى معظم الجماعات، التى أصبحت تتجه بالتدريج ، الى تحقيق الاصالة فى الفنون بدلا من مجرد السعى الى «التظرف» التقليدى •

الاخطـــار

نزعة الى الاحتراف ناشئة عن « الرحلات » التى نظمها المتعهدون وافساد الذوق الفنى الطبيعى بادخال اللغو المسرحى ، وظهور فولكور زائف •

العـــلاج

قبول جماعات الفن الاهلى بأن تضع نفسها تحت اشراف الهيئات الوطنية والاقليمية المختصة ، واختيار خير هذه الجماعات ، وتشـــجيعها بالمكافآت المادية •

٢ ـ اذاعة الاغانى الشعبية الاصيلة والموسيقى الشعبية (بما فى ذلك تسجيلات الجراموفون) •

الاخطـــار

تذاع مثل هذه البرامج ، ولكنها تخلط بين الجيد والردىء لعـدم توفر الاتصال الكافى المستمر بين هيئات الاذاعة وخبراء الفنون الاهلية •

العـــلاج

ان ايجاد مثل هذا الاتصال قد يساعد فى الاسراع عـــلى اعادة انشاء اللجان الوطنية للفنون والتقاليد الاهليـــة • وينبغى الاكثار من التسجيلات على الاسطوانات «محليا» ونشر التسجيلات التى يهتم بهـــا الجمهور أكثر من غيرها •

٣ ـ التليفيزيون

ولايجب أن نغضي عن التليفيزيون لانه ، وان كان لايزال في المهد في فرنسا ، وسيلة من وسائل صيانة الفنون الاهلية ونشرها .

د) صيانة الفنون الاهلية التقليدية في الرسم والزخرفة والنحت

سنطلق، هنا ، اسم « أرباب الحرف التقليدية » على العمال المعاصرين الذين أشير اليهم تحت العنوان السابق في باب « الوضع الحالي للفن الاهلي» وأغلبهم من سكان القرى ، كعمال الخزف ، والنسيج وصناع السلال « والدنتالا » ، والنحاسين والعقادين .

وقد قام كاتب هذا المقال بنفسه بجمع تفاصيل دقيقة عن هؤلاء الصناع وأعمالهم بين عامي ١٩٢٦ ـ ١٩٣٩ ، ثم حالت الاحداث التي عقبت هذه الفترة دون استكمال ما وصل اليه من معلومات ، ولذا فلا بد من زيارة مصانع هؤلاء العمال لضبط هذه المعلومات ، لانهم يكرهون الكتابة ، عادة ، ولان الضرورة تقضي بمشاهدة فعلية للاطلاع على وضع انتاجهم الحالي . والواقع ان ظروف هؤلاء العمال (كظروف جميع العمال بوجه عام) قد تحسنت أثناء الاحتلال الالماني تحسنا بالغا بسبب اختفاء المنافسة الصناعية ، ونتيجة للنقص العام في جميع الادوات الضرورية ، اذ كان الجمهور يبحث عن هذه الادوات بلهفة ويتقبلها ولوكانت رديئة ينقصها الاتقان ، ويقصد الى منازل الصناع ليحصل عليها بنفسه ودون أن يناقش في أثمانها ، فاجتازت بذلك ضمائر هؤلاء الصناع وتقاليدهم المهنية السليمة امتحانا عسيرا ، لاسيما وقد شعروا أن من الواجب عليهم أن يحلوا محل المصانع وأن يضحوا «بالكيف» في سبيل « الكم » وبالتنوع في سبيل أصناف رتيبة .

الجمعيات التعاونية

ويستحيل على الصناعات اليدوية أن تصمد فى وجه المنافسة التى تلقاها من الصناعات الآلية فى خفض الاسعار ، بعد أن عادت الحال الى ماكانت عليه قبل عام ١٩٣٩ ، ان لم تغير اتجاهها وتعتمد على الجودة والتنوع وعلى الطابع الفنى سواء كان اقليميا أو لا • ولاشك فى أن الصناع اليدويين بأنواعهم الثلاثة ـ التقليدى والابداعى والاجير ـ يتصفون جميعا بالفردية المطلقة ، وقصر النظر ، وهذا ما أعجزهم عن ادراك الفوائد التى تعود عليهم من انشاء حركة للتعاون فيمابينهم•

ونضرب مثلا على ذلك الجماعة التعاونية النموذجية التى أنشئت فى عام ١٩٤١ فى مقاطعة « أورليان » باسم «الجمعية التعاونية لصناع مقاطعة اللواريه » (وها هى فى عام ١٩٥٠ لا تعيش الا بصعوبة) وقد أثبتت التجربة أن العمال يثقون بمن يشترى نقدا ويؤثرونه على سواه ممن يحاول مساعدتهم على تحسين أعمالهم ، وفتح باب المستقبل أمامهم وتزويدهم بالنصائح •

العــــلاج

انشاء مؤسسة دولية لشراء وبيع منتجات الفن الاهلى ، وضمان هذه المنتجات بالصاق « طوابع » تصدرها هيئات من الخبراء الفنيين • وستعالج هذه النقطة تفصيلا فيما بعد •

أما وقد فرغنا من عرض المشكلة عرضا اجماليا ، فلننتقل الى الفئات الخاصة من منتجى الفن الاهلى من غير الصناع التقليديين •

وبالتالى فانها تبتعد شيئا فشيئا عن أهل الفنون الاهلية الاصيلة • وهـــذه النزعة التي لحظت منذ نحو عشرين سنة، آخذة فى الازدياد على مايظهر•

وتعـــد « صالات الصور » فى متحف الفنـــون الزخرفية بباريس ، مثالا على آثار هؤلاء الصناع •

توسيع نطاق عمل هؤلاء الصناع

ينبغى البحث عن هذا النوع من الفن واحصاؤه ، ومنح «العلامات» المسجلة له ، وتوسيع البيـــع الدولى لمنتجاته كما ســـبق وأشرنا فى الفقرة (د) •

٣ ـ الصناع المأجورون « غير المبدعين »

وهم يؤلفون أكبر طائفة بين الصناع ، وخاصة فى صنع الاثاث ، وهم وان كانوا يكونون يدا عاملة من النوع الممتاز ، الا أنها خاليـــة من الابداع الفنى ، ويخشى على الذوق الفنى الطبيعى عند هؤلاء الصناع من الفساد تحت تأثير النماذج التى تقـــدم لهم أوتطلب منهم فى أكثر الاحيـــان •

التقـويم والنمو

يجب توطيد الاتصال بين الفنانين المبدعين والاجراء (أولا) : بنشر أعمال الاساتذة المعاصرين كما حدث فى القرن الثامن عشر (ثانيـا) : بنشر بعض نماذج الفنون التقليدية من بعض الاقاليم المعينـــة كالاثاث الشعبى الاصيل •

ومن المسلم به أن تقليد النماذج أمر غير مرغوب فيه مبدئيا ، ولكن ماذا ينفع هذا «المبدأ» وقد ازدحمت بعض المصـــانع بطائفة من النماذج القبيحة يقلدها فى أدق تفاصيلها صناع من ذوى المهارة الفنية التى لاتبارى•

التطـــور

ينبغى القيام بمايجب للاكثار من المباريات بين الفنانين العصاميين ، وخاصة فى المصانع ، مع تنظيم المعارض للاعمال الناجحة • وليس الغرض من ذلك محاولة الكشف عن نبغائهم من أمثال « روسو » و «بوشان» وتشجيعهم فحسب ، بل جعله وسيلة لتحقيق السلامة الفكرية ، وقد سنحت الفرص لكاتب هذا المقال أن يكون حكما فى مباريات مثل هذه لم تكد تتضمن شيئا هاما من الناحية الفنية ، لكنه كان من الجلى أن كلا من المتقدمين قد أفاد من استغراقه فى عمله غذاء ثقافيا عاطفيا نادرا ، وعرف عن نفسه مالم يكن ليعرفه فى حياته اليومية العادية •

ولابد من الاشارة الى أن كل هيئات التحكيم الاوربية تقريبا تفضل الاعمال الساذجة الاصيلة • ولذا يجب أن تصرف عناية خاصة الى انتقاء هيئات التحكيم • واذا شئنا أن نكشف عن مواهب جديدة يجب أن لانقتصر على مشاهدة الاعمال المعروضة فحسب بل ينبغى لنا أن نمعن النظر كذلك فى تلك التى رفضتها هيئات التحكيم ، وهى تعتقد تمام الاعتقاد أن هناك مقياسا للقيم الفنية تأتى الفنون الاهلية الاصيلة فى الذيل منه •

٢ ـ الصناع المبدعون

ويقصد بهم الصناع غير التقليديين الذين ينتجون مايدخل فى فن الزخرفة ، وهى فئة فى أغلبها من سكان المدن ولذلك فهى تتأثر بالازياء والاتجاهات الرئيسية لما يسمى بالفنون العليا • وتستمد هذه الفئة رجالها من الاوساط الفنية ودوائر الطبقة الوسطى بصورة متزايدة ،

ولاشك فى أن نقل النماذج الجميلة الصحيحة قدينمى بعض المواهب الجمالية الاصيلة ، التى لا يمكن ان ينميها النوع الآخر من النقل •

التجارب السابقة في حفظ الفن الاهلي وتقدمه :

ا) فى النطاق الدولى

يعود الفضل فى اثارة المشكلات المتعلقة بالفن الاهلى على نطاق دولى ، الى « المعهد الدولى للتعاون الثقافى » الذى انبثق عن « عصبة الامم » ، وقد حدث ذلك أثناء انعقاد المؤتمر الدولى للفنون الاهلية فى مدينة « براج » عام ١٩٢٨ •

وكان كاتب هذا التقرير من بين الاعضاء الفرنسيين القلائل الذين حضروا ذاك المؤتمر ، كماكان فى الوقت نفسه مسئولا عن تحرير ونشر وقائع المؤتمر فى مجلدين محليين بالصور •

وفى عام ١٩٢٨ أيضا تألفت اللجان القومية للفنون الاهلية كفروع « للجنة الدولية للفنون الاهلية » • وكان « أرنولد فان جنب » رئيسا للجنة القومية الفرنسية ، وكاتب هذه السطور سكرتيرها العام • وقد أعيد تأليف هذه اللجنة فى عام ١٩٤٨ ويضم مجلسها الاعلى المسيو « فان جنب » وكاتب هذه السطور • وسيعاد تأليف اللجنة القومية الفرنسية للفنون الاهلية •

ومنذ عام ١٩٢٨ كانت اللجنة الدولية للفنون الاهلية واللجنة القومية الفرنسية للفنون الاهلية تضمان اليهما الاعضاء والموظفين ، دون التأثر بأى تدخل حكومى • وقد أثبت التاريخ قيمة مثل هذا الاجراء للحرية العلمية •

وسيعاد تأسيس لجنة وطنية رسمية للفنون والآداب الاهليــة وسيكون كاتب هذه السطور عضوا فيها ٠

مؤتمرات دولية أخرى بين ١٩٢٨ ـ ١٩٣٩

عقدت مؤتمرات فى كل من « روما » و « أنفرس » و « باريس » ، وكان آخرها قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وقد مثلت فيه ألمانياء

الخــلاصة

يمكن اعتبار سنة ١٩٢٨ كبداية للحركة الدولية لاحياء الفنــون الاهلية والاعتراف بقيمتها الثقافية التى لا يمكن تعويضها ٠

أوجــه الضعف

ان المتخصصين القلائل من أعضاء اللجان الوطنية والدولية يكرسون أنفسهم لواجباتهم المهنية ولمطالب الحياة المادية تكريسا لا يترك لهم متسعا من الوقت أو سبيلا للعمل على تعزيز نهضة الفنون الاهلية ، ولا يتيح لهم ان يستمروا على اتصال فيما بينهم استمرارا تقتضيه الضرورة ٠

المعــــرض الدولى للفنون الاهليـــــة
بقصر الفنون الجميلة فى بروكسل ١٩٢٩ ـ١٩٣٠

لقد قام بتنظيم هذا المعرض الذى ملأ رحبات قصر الفنون الجميلة كل من « ا ٠ فان جنب » ، وكاتب هذا المقال ٠ وقد قابلت الاوســـاط الفنية البلجيكية هــذا المعــــرض فى بادىء الامر بشىء من التعجب والحذر ، ماعتم أن أعقبهما شعور قوى بالارتياح شمل الاوساط الدولية المختلفة ٠

المعرض الدولى للفنون والصنائع فى باريس عام ١٩٣٧

لاول مرة فى تاريخ المعارض من هذا الطراز ، اشتملت معارض الدول جميعا ، باستثناء الاتحادالسوفييتى وألمانيا ، علىأقسام هامة للفنون الاهلية • وعرضت فرنسا « مركزا اقليميا» يتألف من صالة خاصة بكل «اقليم» • و «الاقليم» هنا شىء وسط بين «المقاطعة » بالمعنى القديم وبين « المنطقة الاقتصادية » الحديثة • وقد عهد الى كل من «هنرى كلوزو » وكاتب هذا المقال بتنظيم معرض فى كل صالة ، يضم مختارات من الفنون الاهلية الحية ، بمافيها الصناعة اليدوية ، ترمز الى كل منطقة وتكون ممثلة لمجموعها •

وقد تم اختيار تلك المختارات فى أثناء معارض تمهيدية أقيمت فى الاقاليم ، وكوفىء العارضون الذين وقع عليهم الاختيار بعرض مصنوعاتهم فى باريس مجانا ، فجاء ذلك مكافأة جديدة بالغة الاثر •

النتـــائج

لقد ثبت ان هنالك ميلا وراثيا واسع الانتشار فى تذوق الصـور الاقليمية الاصيلة • وقد اتخذت الاجراءات اللازمة لايجاد اتصـال مباشر بين عدد من أرباب الحرف وبين أسواق لم تكن تخطر لهم قط ببال ، كما ان هذه الاسواق لم تكن من جهتها تعرف عن وجودهم شيئا من قبل • من أمثلة ذلك ان صانعا من صناع الاجراس الموشاة التى تعلق فى رقاب البقر فى مقاطعة « البيرنيه السفلى » انهالت عليه الطلبات من الارجنتينين الذين يرجع أصلهم الى بلاد «الباسك» ، ومن الكنديين الفرنسيين وغيرهم •

الفنون الاهلية في معرض نيويورك سنة ١٩٣٨

عنى « جورج ريفير » بتنظيم قسم من الصالة الفرنسية يمثل الماضى بينما قام واضع هذا المقال بتنظيم قسم آخر يمثل الفنون الاهلية المعاصرة •

وقد أوقفت الحرب العالمية الثانية حركة الفنون الاهلية فى النطاق الدولى ، بل فى الحدود الوطنية •

ب) النطاق الوطنى (فرنسا) ، بين ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥

أجرى كل من هنرى كلوزوت وكاتب هذا المقال فى الفترة التى يفصلها هذان التاريخان ، احصاء للحرف الاقليمية وأصحابها فى فرنسا واتبعا فى ذلك المنهجين الآتيين :

١ ـ أرسلت بالبريد لوائح من الاسئلة الاستطلاعية طلب الرد عليها كتابة •

٢ ـ أجريت أبحاث محلية للتأكد من صحة الاجابات وللتعمق فى البحث •

وتتلخص نتائج هذه الدراسات فيما يلى :

ا) ان حرب الاسعار بين الصناعات الآلية وبين الحرف الاقليمية كانت حينذاك هى العامل الاساسى فى تدهور الحرف التقليدية ، التى كانت تعانى سوء النظام ونقص التوجيه ، ناهيك عن أن الحدود التى تصرف فيها هذه المنتجات ضيقة لدرجة تكاد لا تصدق ، وهى لذلك لا تصلح سوقا رائجة لها •

ب) كان من مصلحة « المشترين » الذين ينتمون الى المؤسسات التجارية فى المدن ان يحرصوا على اخفاء « عناوين » المصادر التى يستوردون منها بضائعهم ، كما كانت عليه الحال مع تجار «الحرير» و «التوابل» فى الازمنة الغابرة .

جـ) وكان معظم «المشترين» يرون أن منتجات الصناع التقليديين بوجه خاص والفنانين الاهليين بوجه عام ، غير جديرة بعملاء المدن . فالجمهور ، فى رأيهم ، « لن يفهم » تلك المنتجات ، أو بمعنى آخر لن يشترى منتجات تتسم بطابع محلى صرف أو بسذاجة الفنانين الاهليين .

تجارب عملية متصلة بهذه المشكلة

فى سنة ١٩٣٤ ، قبل أحد المخازن التجارية الكبرى بباريس ان يقيم معرضا خاصا للمبيعات ، وعمد ، قبل ذلك ، الى عرض بضع مئات من العينات على المشترين بواسطة مدير المخزن ، وذلك بقصدمزدوج : أولا ، حث المشترين على تذوق هذه المنتجات ، وثانيا ، تحسس الموقف فيمايتعلق بمدى الاقبال على شرائها . ولقد بدا لاول وهلة ، أنالعملاء لن « يقدروا » الا عددا ضئيلا من المعروضات ومع ذلك فانه لم يكديمضى على افتتاح المعرض أربعة أيام حتى أوضح أهل باريس وجهة نظرهم بما لايدع مجالا للشك فاشتروا كل شىء حتى نفدت جميع المعروضات ، وراح أصحاب المعرض يفكرون فى استقدام المزيد من هذه المنتجات على سيارات نقل ، وهو تفكير عقيم بطبيعة الحال لانه ليس لدى الصناع والفنانين الاهليين عادة منتجات مخزونة وهم يقتصرون على صنع ما يسد الحاجة المؤقتة .

ولقد كان من شأن هذه التجربة العملية التى أجريت على نطاق خاص ، أنها تمكنت من لفت نظر الشعب الباريسى الى الفن الاهلى الحى ، كما نجحت ، لاول مرة والى مدى بعيد فى تهيئة مكان هام لهذا الفن فى المركز الاقليمى للمعرض الدولى بباريس سنة ١٩٣٧ ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .

وبناء عليه ، يمكن اعتبار عام ١٩٢٨ الى حد ما وعام ١٩٣٧ بوجه خاص ، كبداية لعهد اقبال الجماهير على الفنون الاهلية فى النطاقين القومى والدولى وكبداية لماترتب على ذلك من اختفاء مركب النقص اختفاء تدريجيا عند الفنانين الاهليين وأرباب الحرف الاهلية وغيرهم من السابقين الى رعاية التقاليد والخصائص القومية والاقليمية .

سنة ١٩٤١ ـ سنة ١٩٤٣

لقد ثبت فى فرنسا أن من الممكن متابعة حماية الفنون الاهلية وتشجيعها باقامة عدد من المعارض كان من أهمها معارض « أورليان » ، و « ليون » و «بورج » و «رين» و «رانس» .

وقد فحصت فى الوقت ذاته ، المحفوظات المهملة فى « معرض الفنون والتقاليد الاهلية » بباريس فحصا علميا أتى بنتائج قيمة . وقد قامت بهذا الفحص جماعة « معسكرات العمل الفكرى » .

ولئن خيل للنازية فى وقت ما أنها تستطيع لغايات سياسية أو اقتصادية أن تستغل حركة تقدم الفنون الاهلية لصالحها الخاص فتفقدها احترام الناس وعطفهم ، فان التاريخ أثبت خطأها فى تقديرها هذا .

الهيئات التى تستطيع أن تعاون على صيانة أو تنمية الفنون الاهلية فى فرنسا

ا) أرباب الحرف والعمال

هناك هيئة رسمية يطلق عليها اسم (هيئة التعليم المهنى) وهى هيئة تركز اهتمامها فى التدريب على المهارة فى الصنعة دون الناحية الجمالية.

الغرف المهنيـــــة

وهى مهمة جدا للفنون الحرفية من جهة الضرائب ، وأساليب الصنعة ، والتمويل وتوفير المواد الخام وغيرها الا أنها لاتهتم بالناحيـــة الجمالية .

المباريات السنوية لاحذق عمال فرنسا

هذه المباريات هامة من وجهة نظر المهارة المهنية ذاتهـا ، ولكن أهميتها من وجهة النظر التى نحن بصددها هنا مشكوك فيها جدا .

جمعية العمال المعروفة باسم "Compagnons du Tour de France"

يتزعم هذه الحركة الفنان الممتاز «جان برنارد » ، ويعمل عـلى بعث هذا التقليد البالغ القدم فى ثوب جديد ، ولقد تحققت بفضـــله نتائج هامة من حيث زيادة المهارة فى الحرف .

ب) الناحية الثقافية

المدارس الابتدائية أو الثانوية

قد يكون من شأن كتاب مدرسى أن يستميل عـــددا كبيرا من المدرسين والاساتذة وخاصة الناشئين منهـــم نحو الحركة التى نحن بصددها •

مدارس الفنون الجميلة

يجب أن تقوم هذه المدارس بتدريس الفنون الاهليـــة كما فعل « م• ملفو » فى « ماكون » ثم فى « بورج » حيث أفاد تلاميـــذه فائدة كبـــيرة •

للشبان بصفة عامة ينبغي الاكثـــار من زيارة المتاحف التى تشتمل على الاقسام الاهلية زيارات موجهة ، والعمل على عرض عدد كبـير من الافلام السينمائية عن الفنون عامة والفنون الاهلية خاصة ، لان الاخيرة منها تكاد تكون مهملة أومنبوذة فى الوقت الحاضر • ويمكن للشـــبان أيضا اجراء مباريات تشتمل على موضوعات مميزة لاقليم بعينه وتتنـاول النحت ، والرسم ، والرسم بالالوان المائية ، عـــلى أن تترك الحـــرية الكاملة للمتبارين وتحكم بينهم لجنة من المتخصصين فى الفنون الاهليـة والفنانين والهواة من ذوى المؤهلات •

للراشـــــدين

العمال ا) القيام بزيارات موجهة للمتاحف

ب) الافلام •

ج) أحاديث مع عرض أفلام صغيرة الحجم •

د) مباريات فى التصوير أو الحرف اليـــــدوية يحدد موضوعها أو يترك حرا لاختيار العارضين ٠

هـ) مباريات فى الغناء والرقص والموسيقى على أن يكون مقياس التقدير فى كل ذلك هو المقابلة بين الابتكار وبين التقليد الاعمى ٠

سكان الريف من الرجال

يمكن تكرار الفقرتين « د ، هـ » مع الاستفادة من المناسبات التى يتجمع فيها الناس ، كالاعياد ، والاسواق الموسمية ٠

زوجات العمال ورجال الريف

تنظم لهن مباريات فى النسيج والتطريز وأشغال (الدانتل) مع اعطائهن قطعا للاختبار يقيدن فيها بتفاصيل معينة ذات طابع محلى ٠

وليس ماذكرنا ، الا مجرد بيان بما يمكن القيام به فكل مشروع يفتقر الى ضبط يطابق ظروف المناطق المختلفة وحاجات الجمـــاعة التى تعيش فيها ، ويمكن الحصول على نصائح وتوجيهات الهيئات الآتية :

اللجان الدولية للفنون الاهلية ٠

اللجان القومية للفنون الاهلية ٠

الجمعيات الاثنوجرافية وجماعات دراسة الآداب الفولكلورية ٠

ومن وكلاء المتاحف وغيرهم ٠

ج) الهيئات المتخصصة للعرض والبيع وعلاقتها بالاقتصاديات

تكاد تكون هذه معدومة وهناك جمعية «الجودة الفرنسية» وهى جمعية شبه رسمية تمنح «طوابع» للدلالة على جودة النوع وهى مستعدة لخدمة الفنون الاهلية خدمة ذات قيمة كبيرة .

الاتحاد الفرنسى

توجد فى بلاد ما وراء البحار ، والمحميات ، والبلاد التى تحت الوصاية ــ فى أحوال معينة ــ «مراكز للفنون الاهلية» من طراز ممتاز. وقد شرعنا فى دراسة حول هذا الموضوع .

التنظيم الدولى للمعرض، وتوزيع منتجات الفنون الاهلية والاصيلة وبيعها

طلب الى كاتب هذا المقال أن يقوم بدراسة طرق المحافظة على الفنون الاهلية وتنميتها فى نطاق المدنيات الصناعية ، وفى فرنسا على وجه الخصوص ، ولكن المؤلف يعتقد بفائدة مشروع توضع خطته على نطاق دولى .

ومن الملحوظ أن تيارات الفنون الاهلية قلما اهتمت فى الماضى بالحدود الفاصلة بين الدول ، كما أنه لابد لممارسة الفنون الاهلية وصيانتها وامتدادها ، من أعتماد :

١ ــ المعارض الدولية المتنقلة .

٢ ــ توفير الاسواق لمنتجات الفنون الاهلية اذ أن المشكلة النهائية انما هى مساعدة الفنانين على العيش .

ولئن أدرك المتخصصون قيمة الفنون الاهلية الاصيلة ، على اختلاف مصادرها ، وأحبوها ، الا أن التجارب قد دلت على أن المنتجات السوقية

البعيدة عن أن تكون أهلية تكاد تستحوذ وحدها على أسواق البـــــلاد الاجنبية • فاذا كنا لانستطيع أن نقاوم الضرر الناجم عن تسرب البضائع السوقية الى الخارج بواسطة «المشترين» الذين لا هم لهم الا الشراء ، فقد يكون من الممكن اتخـــاذ الحيطة بحيث لايتسرب الى الخارج غير المنتجات المبتكرة التى تمثل الفنون الاهلية تمثيلا صادقا •

الوســائل

١ ـ اكمال تعليم الشعوب بوساطة المعارض الدولية المتنقلة للفنون الاهليـــة (مصحوبة بمكاتب للبيع أوبدونها) تنظم تحت رعاية هيئة اليونسكو وبمساعدتها •

٢ ـ انشاء لجان فرعية بمعاونة الجمعيات الدولية والوطنية يعهد اليها أن تمنح «علامات فارقة» تلصق على المنتجات الفنية الاصـلية والكتب ، وتسجيلات الحاكى ، وقطع الموسيقى وبطاقات البريد المصورة وغيرها ، للدلالة على أن هذه الاشياء من نتاج الفنون الاهلية الاصيلة التى لا يشوبها الزيف •

٣ ـ واذا تقررت هذه العلامات الفارقة ، فقد يكون فى الامكان عقد اتفاقات مع المحال التجارية الكبرى ذات الفروع المتعددة لافتتاح «أقسام» فيها تتخصص فى الفنون الاهليـــة الدولية ، وتقتصر على بيع الاشياء التى تحمل العلامات الفارقة الخاصة •

الحـواجز الجمركية الحالية

ترى هل تخفض الحواجز الجمركية الحالية بحيث تسمح بمثل هذا التبادل الدولى والثقافى ؟ وسواء تم ذلك أم لم يتم ـ فانه يجدر بنا

أن نعمل عـلى ازالة الحواجز التى كثيرا ماتفصـــل بين الدراســـات الاثنوجرافية « علم الناس » وبين الحياة الواقعية لهؤلاء الناس أنفسهم •

الخلاصـــة

لا شك أن تنمية الفنون الاهلية تؤدى الى اثراء الانســـان اثراء روحيا وماديا ، والى تثبيت كرامته والذود عنها • ولا ريب أيضا أن الذى يستغرق فى ابتكار فنى ، مهماكان متواضعا ، انما يجول فى جنات النعيم وفى ذلك ، لعمرى ، كسب رائع فى عصر طغت فيه المـادية الحادة • ومهما يكن من أمر ، فان التبادل الثقافى حقيق بأن يسفر عن تســـهيل فهم الشعوب بعضها لبعض ، وحفظ المقومات الوطنية لتلك الشعوب •

التقرير الفردى الثــالث

الفنون الاهلية فى اندونيسيا

بقلم الاستاذ ث . جالستن والدكتور ح . و . لوشر (١)

ان أية دراسة لصيانة الفنون الاهلية وتنميتها فى أندونيسيا يكتنفها فى الوقت الحاضر أنواع متعددة من المشكلات المعقدة . واننا نعتقد انه من الاصلح أن يكون حل هذه المشكلات عن يد الاندونيسيين أنفسهم، وهم على كل حال راغبون فى حلها وعلاجها بما يوافقهم . أما اذا بدت فى المستقبل حاجة الى معونة خارجية ، فيجب أن يكون الاندونيسيون هم الذين يطلبونها ، ويحددون أغراضها ويحكمون على مدى نجاحها .

ومع ان كاتبى هذا المقال هولنديان ، فهما على اتفـــاق تام مـــع السلطات الاندونيسية فى هذا الرأى . وهما اذيساهمان ببعض الافكار فى هذا الموضوع انما يؤملان أن تؤدى هذه الافكار بعض النفع للذين يواجهون مشكلات مماثلة فى أماكن أخرى من العالم . فعسى أن يكون فى هذا المقال ما يهيىء للقارىء ان يحيط بجوانب الموضوع المتعـددة احاطة عامة .

---

١) الكاتب الرئيسى لهذا المقال هو الاستاذ « جالستن » ولكن الدكتور «لوشر» شاركه فى مناقشة كثير من جوانب الموضوع .

بعض الحقائق التاريخية

تعرضت جزائر أندونيسيا لموجات حضارية متباينة فى فترات مختلفة من تاريخها • فلقد جاءت من القارة الاسيوية أولا حضارة تنتسب الى أواخر العصر الحجرى القديم • وليس تاريخ هذه الحضارة معروفا على وجه التحديد ، كما أنها لم تترك أثرا يذكر فى مجال الفن الرفيع •

وتلت ذلك العصر ، حضارات مختلفة من العصر الحجرى الحديث وحلت فى « الجزر الجنوبية » • ويمكن حصر هذه الفترة ـ على حد قول علماء ما قبل التاريخ ـ ما بين سنة ٢٥٠٠ وسنة ١٠٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب • وقد أمدت هذه الموجات الاخيرة جزر الارخبيل المختلفة بمايسمى الآن بالحضارة الاندونيسية واللغات الاندونيسية بصفة عامة • أما العصر الذى يعرف «بالعصر البرونزى » فى أندونيسيا (وقد اكتشف الحديد فى أواخر هذا العهد) فقد ازدهرت حضارته خلال القرون الثلاثة أوالاربعة السابقة للميلاد • ويمكن القول بصفة عامة أن الآثار الاجتماعية والفنية لهذه الفترة لم تنقض بانقضاء هذا التاريخ ـ وقد استمرت بعض المظاهر «الميجاليثية» للحضارة الاندونيسية القديمة خلال العصر الحجرى الحديث والعصر «البرونزى» ـ ولايزال أثرها ظاهرا الى يومنا هذا فى جهات مختلفة من أندونيسيا •

وان ما يسمى بالتاريخ « الاندونيسى الهندى » (الذى يعتمد أكثر ما يعتمد على الدراسات التى أجريت فى جزيرة « جاوة ») يبدأ نظريا فى مستهل العصر المسيحى

أما فى الفترة التالية أى حتى القرن السادس عشر (وحتى بعد ذلك فى بعض أجزاء أندونيسيا كما فى « بالى » مثلا) فان الحضارة «الهنــدية البوذية » قد تركزت فى بلاط الملوك وقصــــور الحــكام الاندونيسيين • ثم انتشرت منها تدريجا الىدوائر تربطها بالبــــلاط والقصورأواصر عائلية أوعلاقات سياسية أو ادارية • وكانلهذه الحضارة أثرقوى ، لاسيمافى «جاوة» و «سومطرة» و «بالى»•ولم يبقالا قليلمن الجهات لم تتأثر بها تأثيرا عاجلا أوآجــلا ، مباشرا أوغير مباشر • ومع ذلك ، حتى فى الاماكن التى خفقت فيها أعلام هذه الحضارة زمناطويلا، فان غالبية السكان الريفيين ظلت محافظة على التقاليد القديمة التىتنتسب الى مايسميه الاندونيسيون بشريعة «العادة » •

هذا ، وقد كانت الجزر ، على مر العصور ، على اتصال مستمر فيما بينها ، مما كان له أثره فى انتشار مختلف عناصر الحضارة والثقافة• ففى القرن الرابع عشر كانت سلالة أمراء «ماجاباهت» تسيطر على جاوة الشرقية ، فبسطت سلطانها على مانسميه فى الوقت الحاضر أندونيسيا ، وبذلك انتقلت ألوان من الحضارة «الهندية الاندونيسية » الى كثــير من الجزر الاخرى •

أما العلاقات الثقافية مع الصين فانها ترجع ، فيما يتعلق بالارخبيل، الى عصور ما قبل التاريخ ، وكان لها أثر قوى فى بعض الاماكن غير انه ليس من اليسير ان نحدد بدقة مدى انتشارها فى نطاقالتاريخ الاندونيسى القديم •

ولقد قام كذلك تبادل ثقافى واســـع مع الهند وغيرها من البـــلاد التى «تهندت» عن طريق التجارة والدين ، فوصــــل الاسلام الى جزر

الارخبيـــــل لاول مرة من ناحية « جوجارات » قاطعـــا نفس الطريق البالغ القدم الذى كانت تسلكه التجارة ، وانتقل منها الى « سومطره » فى القرن الثالث عشر ، وأخذ يغمر بالتدريج أهل « جاوه » ابتداء من القرن الخامس عشر ، وعم جهات أخرى فيما بعد • وهناك بعض جهات لم يصل اليها الاسلام قط •

وعندما حط التجار الاوروبيون رحالهم فى الارخبيل الاندونيسى فى الفترة الواقعة بين سـنة ١٥٠٠ وسنة ١٦٠٠ على وجه التقـريب ، لم يحدثوا تأثيرا ثقافيا ظاهر الاثر فى بادىء الامر ولـكنهم ماعتموا أن بدأوا يؤثرون فى الحضارة الاندونيسية تأثيرا تدريجيا ، وقد أحدث هذا التأثير ، فى المدة الاخيرة من عهود الادارة الاستعمارية ، تغييرات حضارية تفوق سرعتها التغييرات التدريجية التى حدثت خلال الاحقاب السابقة •

وفى سنة ١٩٤٥ أعلنت الجمهـــــورية الاندونيسية بفضل الرجل الذى قيض له أن يصـــبح فيما بعـــد رئيسها الاول ، وكان معظـــم الهولنديين القاطنين فى ما كان يعرف بجزر الهند الشرقيـــة الهولندية لايزالون أسرى فى معسكرات الاعتقال اليابانية • وتلت ذلك مفاوضات طويلة بين الاندونيسيين والهولنديين ، وقد قطعت هذه المفاوضات مرتين لحدة « النزاع على السيادة » بين الفريقين • وكان الشعب الاندونيسى قد تأثر حينذاك بما اتخـــذته الجيوش اليابانيـــــة من اجراءات عامة فتغيرت اتجاهاته تغيرا كبيرا أدى الى ثورة اجتماعية بعثت روح الكرامة واحترام الذات ، وأســفرت عن رغبة الاندونيسيين فى تســـلم زمام أمورهم السياسية والاجتماعية •

وفى مؤتمر المائدة المستديرة الذى انعقد فى « لاهاى »، قررت الحكومة الهولندية ، آخر الامر ، أن تعترف دون قيد ولا شرط بجمهورية الولايات المتحدة الاندونيسية وبسيادتها التامة المطلقة • وأصبحت هذه الجمهورية شريكة متساوية حرة للبلاد الواطئة فى اتحاد يقوم على المبادىء الديموقراطية •

وأصبح الهدف الاساسى الذى ترمى اليه أندونيسيا اليوم أن تصبح دولة حديثة فى عالم حديث ، وأن تنمى مقومات حضارتها المختلفة بشكل يجعل منها أداة فعالة لتحقيق ذلك الهدف الاسمى •

ولا يود الاندونيسيون نبذ مميزاتهم القومية أو تراثهم الثقافى ، ولكنهم يأبون أن يكون هذا التراث عقبة تحول بينهم وبين الوصول الى حياة جديدة تقوم على التمتع بالحرية فى ظل نظام سياسى واجتماعى جديد • ولقد سجل المؤتمر الاندونيسى الذى سبق المفاوضات السياسية فى لاهاى اقتراحا يهدف الى اعتبار المبادىء التى قام عليها اعلان حقوق الانسان كأساس عام لاعمال المؤتمر •

بعض الحقائق عن الفن فى القرى والقصور

لقد أشرنا من قبل الى أن قصور الملوك كانت مراكز يتجلى فيها التأثير الهندى البوذى ، كما أشرنا الى أن الاماكن المجاورة لها قدتأثرت تدريجيا بالعناصرالثقافية التى جاءت فى الاصل من الهند • وكانت غالبية التقاليد الثقافية الهندية فى أيدى العلماء من الكهنة والرهبان ، وهم الذين فرضوا النظم الادارية ووجوه النشاط المتعددة فى القصور وفق نماذج خارجية رسمت على أنماط ثابتة • فالقانون ، والطقوس

الدينية ، والسلطان الملكى ، والآداب ، والرقص ، والفن المعمارى ، والنحت ، والتصوير ، كانت تنظم جميعا وفقا لاصول معينة ، وكان نظام الطبقات الذى ينتسب العمال بمقتضاه الى الطبقات الدنيا ، يعتبر قائما فى ذلك الوقت من الوجهة النظرية ، الاأن هذا النظام لم يكن ساريا فى القرى وقد حافظ سكانها على نظامهم الاجتماعى الخاص الذى يرجع الى ماض سحيق . والريفيون ، بوجه عام ، لايستطيعون قراءة اللغة السنسكريتية ، ولذا ، لم تتصل بهم آداب جاوة القديمة . ففى جاوة ، وقد اخترناها هنا لتوفر المصادر التاريخية الدقيقة عنها ، كان الريفيون يحيون فى الغالب حياة مبنية على الزراعة ، ولا يقوون على استيعاب ماتنطوى عليه الفلسفة الهندية أوالبوذية من معان عميقة ، عاجزين عن فهم مجلداتها النظرية العويصة . ففى الكتابة ، والبناء ، والنحت ، والنقش ، والرقص ، وأشغال المعادن ، وغيرها ، كان ثمة فن يتصل اتصالا مباشرا بحضارة القصور . كما كانت معظم القرى من جهة أخرى تمارس بعض الطقوس السحرية ، والرقص الدينى ، والآداب «المروية» وتدور أبحاثهم حول الخصب سواء فى الارض أو فى العائلة ، وحول تمجيد الاجداد واكرام الموتى . وكانت هناك أبنية تتصل بالاصول «الميجاليثية » كثيرا ما استخدمت فيها مواد سريعة الفناء . وفى خارج القصور ، كان يتجلى فن النحت فى النقش فى الصخور ، وكان الطراز العام لهذا النحت أثريا أو رمزيا أو ديناميكيا « حركيا » حسب الانواع التى أشار اليها س . فون هاين جلدرن فى بحوثه . أما صناعة المعادن ، فكانت تقتصر على الحدادين وكانت لهم مكانة مرموقة فى المجتمع وكانت النساء يقمن بالنسج ، غير مباليات بأن ما يستخدمنه من الوسائل

وما يبتدعنه من الزخارف كان فى كثير من الاحوال على جانب كبير من القيمة الفنية اذا قيس بالمعايير الحديثة وهكذا نرى أنه كان للقصور تقاليدها الثابتة وللقرى تقاليدها الثابتة وتختلف كل عن الاخرى من حيث المنشأ والصورة .

وكان الملوك أنفسهم من الاندونيسيين ، ولم تكن مقابرهم الحجرية معابد للآلهة بمعنى الكلمة بقدر ما كانت مدافن اندونيسية قديمة لاشباه الآلهة من أسلافهم ، فقد كانت جثة الملك توضع فى كفن تراعى فى صنعه القواعد الهندية التى حلت محلها الطقوس الدينية الاندونيسية فى نهاية الحقبة الاندونيسية الهندية . أما هذه الطقوس الهندية الاصل التى تأثرت بالافكار الاندونيسية تأثرا قويا ، فقد ظلت قائمة فى قصور الحكام المسلمين ، وقد حل هؤلاء محل زملائهم السابقين الذين كانوا احتضنوا صورا تنتسب الى الديانات الهندية البوذية . وهناك بعض استثناءات من هذه القاعدة العامة ، فقد حلت الطقوس الاسلامية محل بعض الصور الدينية القديمة ، فأقلع القوم عن بناء المدافن الملكية من الصخور وعن انشاء المعابد القروية الهندوكية وترتب على ذلك اضمحلال صناعة المعادن والصناعات الحجرية المتصلة بتلك الطقوس الدينية الهندوسية البوذية (فيماعدا جزيرة «بالى») كما أصبح الناس يستغنون عن الصناع فى هذه الاغراض .

أما فى «جاوة» فقد بقيت «رقصات القصور» ومسرح خيال «الظل» واستمرت الى وقتنا هذا . كمابقيت أيضا فرق الموسيقى الملكية التى ظهرت فى « جاوه » فى عهد الحكام المسلمين ، وبقيت على حالتها حتى اليوم .

الفن الاهلى قبل الحرب مع اليابان

اننا لانزال نجد فى بعض جهات أندونيسيا منتجات فنية يمكن أن يقال انها تعبر عن روح القبيلة أوالقرية • وهذه المنتجات بأشكالها المختلفة من صنع أفراد لايعدهم محيطهم فنانين ولايعدون أنفسهم كذلك • ومع هذا ، فان أى فنان غربى حديث ليشعر بعظيم الفخر لوأتيح له أن ينتج مايماثل أعمالهم ، مع العلم أن كثيرا منها ، مماهو من ابتكار أيد حساسة وخيال توجهه التقاليد ، مقضى عليه بالاضمحلال ان عاجلا أو آجلا ، ان لم يكن قد اضمحل بالفعل • ذلك أن ما أصاب الحياة من تطور اجتماعى قد أزال الحاجة الى مثل هذا الفن ، وأخذ الناس يفضلون عليه صورا جديدة من وحى الخارج ، وسنناقش أسباب ذلك فيما بعد ، ولكن على الرغم من كل ذلك ، فان الفن الاهلى لايزال قائما فى صور متعددة ، فى أماكن أخرى من أندونيسيا ، كما يظهر فى الرقص الاهلى ، والاغانى القروية ، والمقطوعات الموسيقية ، وانتاج الادوات المنزلية وغيرها من مختلف الصناعات كالخشب والحجر والخيزران والنسيج والحصير والخرز وما الى ذلك • والسبب فى بقاء هذه الصور من الفن الاهلى هو احتفاظها بشىء من القدرة على مسايرة التجديد فيما تؤديه من وظائف فى نطاق النظام الاجتماعى الذى تعيش فى كنفه •

لم يعد للنظام الاقطاعى متسع فى أندونيسيا ، كما سنشير الى ذلك فيما بعد ، ولذا فان الفنون التى نشأت فى القصور مقبلة على مشكلات يقتضى التفكير فى حلها اذا ما أردنا لهذه القدرات المبتكرة أن تعيش • ولا يسهون عن البال أن الابتكارات الفنية فى القصور هى أرفع ما أنتجته أندونيسيا من الفنون ويقدرها حق قدرها كل من أدرك معنى « الفن

الرفيع » فى الرقص والموسيقى ، ومع ذلك فان سواد الاندونيسيين ، حتى فى جاوة لم يكن فى وسعهم الاطلاع على هذه الفنون ، وقد بقيت محجوبة فى القصور التى لم تسمح لهم العادات بدخولها •

وقد قام بعضهم فى جاوه بمحاولات لاحياء الفنون الاهلية وعلى الاخص فى المراكز القريبة من القصور ، وهى مراكز احتفظت بالاساليب الفنية القديمة وان كانت مهددة بالزوال • ولقد أنشأ الامراء الجاويون مدرسة للرقص والتمثيل يقصدها من شاء ، على أن يكون قادرا على احتمال النظام العنيف الذى يتطلبه الوصول الى غاية الاتقان فى هذه الفنون السامية • ولقد شغف أولئك الامراء من السلالة المالكة ، بهذه الفنون حتى أنهم أقبلوا على اعطاء بعض الدروس فى أصولها ، بعد أن سبق لهم أن اشتركوا بأنفسهم فى مهرجانات القصور • وقد تأسست فى « بالى » جمعية من الفنانين ترمى الى صيانة الصور المختلفة للتعبير الفنى ، مما قد تنزل بها مسايرة مطالب السواح والتجار من أضرار • وقد قرر هؤلاء الفنانون أن يعرضوا روائعهم الفنية فى متحف عام يقام بالجزيرة نفسها أوخارجها ، حتى يتمكن المشترى من تكوين فكرة صحيحة عن الطراز الفنى والمواد المستعملة ، وطريقة الصناعة • وقد كان لبعض الفنانين الغربيين الذين أحبوا جزيرة « بالى » ومختلف صور ثقافتها المتنوعة ، تأثير معتدل خال من الضرر على الفنون الاهلية فى نواحى الرسم والحفر ، فنشأ عن ذلك طراز جديد فى هاتين الناحيتين غير ان الجماعات الريفية لا تزال تمارس الحرف القديمة على اختلاف ضروبها مستوحية فى ذلك تقاليدها الدينية أو الاجتماعية • وكان المبشرون المسيحيون يعتقدون تارة بضرورة الغاء

تلك الصور «الوثنية » للفنون الاهلية ، لانها فى نظرهم تقف حائلا دون انتعاش المسيحية الحقة ، وطورا ينشطون الى صيانة أساليب التعبير الفنى القديمة للجماعة ، وذلك بأن يحتفظوا بالقوالب الخارجية القديمة مع العناية باعطائها صبغة تتمشى مع الفكرة المسيحية وقد اتخذت خطوات أخرى بواسطة المعاهد والحكومات والهيئات • فقام معهد « جاوه » فى «جاكرتا » ، وهو معهـــد يشمل تأثيره «جاوة » و «بالى » و «مادورا » ، بتنظيم مؤتمرات عن مختلف ألوان الثقافة الاندونيســية يعــرض فيها زعماء الحركة الاندونيسية الوطنية آراءهم عن مشكلاتاصلاح المدرسة والتدريب الفنى • وقام هذا المعهد أيضا بتنظيم حفلات رقص وموسيقى ذات مستوى فنى رفيع ، وقد حاول قبيل الحرب مع اليابان ان يبعث طرق الفن الاهلى من جديد بانشاء مدرسة تتيح للشبان الاندونيسيين من ذوى الاستعداد ان يتدربوا على أيدى فريق من كبار الفنانين الاندونيسيين وتجدر الاشارة الى ان الحركة الهولندية قد أخذت بنصائح ذوى الدراية بالاعمال اليدوية والفن الاهلى ، وحاولت ، كلما تسنى لها ذلك ، ان تشجع الصور الاقليمية للتعبيرات الفنية وان تصونها وقد عمدت قبــل الحرب العالمية الثانية بسنوات قلائل الى وضع مشروعات مفصلة فى هذا السبيل ، وباشرت فى تنفيذها ، بل يمكن القول ان كثيرا ما كان الاهتمام بترقية الفنون والحرف المحلية كوسيلة لرفع المستوى العــام للمعيشة ، يشغل محلا واسعا فى تقارير الموظفين الهولنديين •

بعض المشكلات الحاضرة المتعلقة بالفن الاهلى

١) الناحية السياسية

يريد الاندونيسيون ـ كماذكرنا من قبل ـ أن يتولوا فى المستقبل زمام أمورهم • ولقد تحقق لهم الاستقلال السياسى الكامل وهم يبدأون اليوم حياة وطنيـة جديدة ، ولاريب أنهم سيتخذون فى مطلعهـا من الاجراءات ما يساعد على استقرارها على أساس ديموقراطى • وثمـة نص على ذلك فى دستورهم • وبديهى ان يعتمدوا فى تحقيق هذا الهدف على الافكار والطرق الحديثة ، وان ينظروا ـ فى هذه الفترة الحرجة ـ الى كثير من الافكار والطرق القديمة التى كانت تسير عليهـا الادارة الاستعمارية بكثير من الشك والحـذر ، بل وبشىء من الاشـمئزاز أحيانا • فاذا كانت الغاية الاساسية من الحياة الوطنية الجديدة هى ممارسة الحرية ، حرية الاختيار الفردى فى عالم حـديث ، وجب أن يكون الحكم على الاساليب والطرق التى تتخذها السلطات الجديدة لحمـاية الفنون الاهلية وتقدمها مبنيا على أساس تلك الغاية •

وعلى هذا ، فقد أصبح فى وسعنا ان ندرك الآن كيف ان الشباب الاندونيسى الذى كان بالامس القريب يقاتل من أجل حريته السياسية، ويتأهب للتضحية بحياته فى سبيلها ، كان يستقبل بكثير من الحـذر أقوال بعض الاوربيين بل بعض المواطنين ممن يؤكدون ان صور الفن القديم انما هى نماذج رائعة لا يجوز تعريضها للزوال •

ولقد كان هؤلاء الشبان ـ وهم معقد آمال الوطن ـ ينظرون الى الاوربيين الذين ينادون بهذه الآراء على أنهم مستعمرون فى الناحيـة

الفكرية وانهم يحاولون أن يبقوا الجيــل الاندونيسى الناهض متخلفـا ساذجا • وكانوا ينظرون الى أبناء وطنهم الذين يدينون بنفس الآراء على انهم يمثلون الجيـــل القـديم الذى انقضت آيامه ، لايستطيعون أن يكيفوا أنفسهم لمطالب الحياة الوطنية الجديدة ، وانهم ، والحالة هـذه عقبة فى سبيل التسليم بالافكار الحديثة وتحقيقها فى جميـع ميادين النشاط الثقافى والسياسى •

ولئن امتنع الشباب عن أن يكنوا لهم بغضا تترتب عليه ازالتهم من الوجود ، الاأنهم كانوا يعتبرونهم ، على الاقل ، « حميرا أغبياء » ينهقون نهيقا مضحكا بينما تعلم غيرهم من المحـدثين أن يتكلموا كمـا يتكلم سائر الناس ، على أنه لايخفى أن عددا غير قليلمن الرعيـل الاندونيسى القديم لايزالون يتمتعون بكثير من الاحترام بين شـباب المحاربين ، وهؤلاء هم الذين يدركون الاتجاه العام للعهد الجديد ، بعد أن أكبوا فى ماضيهم على بناء المستقبل ، عاملين فى حذر على أن يجعلوا من الجنود الفتيان الذين تغلب عليهم القنوط ، رجالا يعيشون حياة عادية كمواطنين محـدثين • أما السبب الاساسى فى فرض احترام هـؤلاء الكبار ، فهو انهم قد ساهموا فى المعركة الى جانب الذين قاتلوا من أجل الحرية السياسية ، فأكسبهم هذا النضال نفوذا وافرا • وبالنظر الى ما يتمتع به سلطان جوكجاكرتا الحالى ــ وكان من قبـل رئيسا فى بلاط أحدالزعماء الاقطاعيين ــ من مكانة رفيعة فى الحكومة الجديدة ، والى ما له من تأثير بالغ على الجيل الناشىء ، فلنا الامل بأن لا يدب الفناء فى المستقبل القريب على الاقل الى أرقى الصور الفنية القديمة التى لاتزال تلاقى حتى اليوم رواجا فى بلاطه وسيكون الفضل فى انقاذ هذه الصور ، لما

يكنه الشباب الاندونيسى من احترام وتقدير لما يتحلى به السلطان من مواهب كزعيم حديث وسياسى محنك • بل يمكن اعتبار هذا التدخل وسيلة لانقاذ صور فنية مقضى عليها بالفناء فى ظل النظام السياسى والاجتماعى الحاضر ، لصلتها بنظام اقطاعى بائد • فينبغى والحالة هذه للجيل الناشىء ان يعتبر الذين يتولون توجيه الثقافة وصيانتها ، فى السنين المقبلة ، أنبياء يدينون بايمان قوى جديد •

ب) بعض الحقائق المتصلة بالناحية الاقتصادية

لقد آثر صاحبا هذا المقال أن يعالجا هذا الموضوع بصورة عامة ، فليس الاقتصاد مهنتهما ، وهما يلتمسان من أجل ذلك عذرا • وقد تناولا هنا الحديث عن بعض المشكلات فى اجمال وأهملا كثيرا من التفاصيل •

ان القرويين من أرباب الحرف المختلفة لاينتجون عادة سوى الاشياء اللازمة لاستعمالهم الخاص ولمنفعة الجماعة التى يعيشون بين ظهرانيها ، فتتوقف كمية الادوات التى ينتجونها ونوعها ، على حاجات مجتمعهم • وكثيرا ماكان يقوم هذا الانتاج على أساس التبادل فى المنافع والمساعدة • فكان الموسيقيون مثلا ، يعزفون فى حقل ينظمه بعض أهالى القرية فى مناسبة خاصة ، فيتقاضون عن ذلك أجورهم عينا ، أما اذا قدموا من قرية أخرى فكانت أجورهم تدفع نقدا على أن تكفى لاصلاح آلاتهم وسد نفقات سفرهم • وكثيرا ماكان يعتمد الممثلون من غير المحترفين فى كسب عيشهم على وسائل تختلف عن وسائل المحترفين الذين تدر عليهم مهنتهم وحدها أرباحا معقولة ، وينطبق هذا القول على

أصحاب مسرح خيال الظل فى جاوه وبالى • وكان الصناع القرويون يبيعون ثمرة انتاجهم فى سوق القرية ويقصده عادة أناس من القرى المجاورة • وكان القرويون الاندونيسيون القدامى يأنفون أن يتعاملوا فى أسواق لايعرفونها معرفة شخصية • وكان الواحد منهم ، اذا ما اضطر الى مثل هذا التعامل ، يلجأ الى العملاء المتخصصين ليكونوا واسطة فى ذلك •

وفى الصناعات المحلية لطبع الاقمشة فى جاوة كانت تقوم العملية التجارية على النهج الآتى :

ترسم المرأة القروية الصور بالشمع على الاقمشة ثم تأتى بها الى رجل ليقوم بتلوين الصور• وتستطيع المرأة بعد ذلك أن تسترد الاقمشة أو ان تتركها لدى الصباغ اذا لم يتيسر لها أن تدفع أجر التلوين ، فان تيسر لها ذلك استخدمت القماش بنفسها أو باعته فى السوق ، واذا احتفظ الصباغ بالقماش ، كان له أن يبيعه بنفسه فى السوق أو أن يبيعه الى عميل أكبر • وقد اعتاد بعض صغار العملاء أن يقصدوا طائفة من الاسواق لشراء المنتجات لكبار التجار ، فيجلبونها بدورهم الى المدن ويعرضونها فى متاجرهم لبيعها لزبائنهم أو لتصديرها الى الاسواق الخارجية كأسواق « بالى » التى كانت تستورد كثيرا من أقمشة جاوة المطبوعة • ويتضح من ذلك كيف ان الوسيط كان يلعب دورا هاما فى حياة القرية من الناحية الاقتصادية وكثيرا ما كان الوسطاء يتقاضون لقاء خدماتهم أجورا مرتفعة ترهق ميزانية القرويين المتواضعة ، وتعرض معظمهم للرزوح تحت وطأة الديون •

واذا كانت القرية أو سوقها بالقرب من مركز يرتاده السواح أو تجتازه السفن أو القطر الحديدية أوالسيارات ، فقد كان من الممكن سد حاجات هؤلاء السائحين أو المسافرين ببيعهم أشياء مما تستخدمه قرية الصانع أو يستخدمه الصانع نفسه . وكان يؤدى ذلك الى ازدياد دخل القرويين ، وانما كان عليهم ان يعنوا بتلبية أذواق السائحين أو المسافرين المتقلبة . فعلى هذه الاذواق الخارجية ـ ولا يشترط فيها ان تتمشى مع ذوق القروى نفسه ـ كان يتوقف انتاج بعض الاشياء المخصصة وأشكالها اذ أن القرويين لايستهدفون من انتاجهم سوى كسب المعيشة . ولذا ، فقد صرف القرويون ، فى أغلب الحالات ، أنظارهم عن صنع الاشياء الجميلة أوالنافعة ماعدا ماتحتاج اليه جماعتهم ، ولم يلجأوا الى أعمال اضافيه كهذه الا متى حلت بهم أزمات خاصة أو أصابت القرية أزمات اقتصادية عامة . وقد تبور هذه المنتجات اذا قل عدد السائحين ، الا اذا وجدت وسائل أخرى للانتفاع بها ، كأن تباع هذه الاشياء التى كانت معدة للاستعمال الخارجى لعملاء يتجولون فى الاسواق فى أماكن أخرى أو جزر أخرى من أندونيسيا أو الخارج . واذا ما نظرنا الى بواطن الامور اتضح لنا فساد الفكرة التى ترمى العامل الاندونيسى بالكسل ، فالقروى الاندونيسى يحب أن يستغل وقت فراغه بطريقته الخاصة . ولم تكن مشكلته فى الماضى مشكلة استعمال الوقت لكسب مال ، وهو أمر يعف عنه القروى الا فى أوقات الضائقات الاقتصادية وكانت الصناعات المحلية المختلفة ، فى أثناء الازمات المالية ، تنبثق كما تنبثق النباتات البرية ، وخاصة اذا كان للمنتجات أسواق كافية لتصريفها ، كما يحدث عادة فى وجود السائحين . أما اذا كانت موارد التجارة

العادية كافية كما فى «بالى» مثلا ، فان السكان ماكانوا يجدون حاجة الى القيام بأعمال اضافية ليحصلوا على مايقـــوم بأودهم ، ولذلك كانوا يتوقفون عن انتاج ما لاتدعو اليـــه الحاجة • ولكن «بالى» شـــهدت نشـــوء طبقة صغيرة من الناس يعتبرون أنفسهم فنانين بالمعنى الغربى • ولم يكن ما ينتجه هؤلاء الفنانون ، بوجه عام ، مما تحتاج اليه القرية ، ولكنهم مع ذلك شاءوا أن يعيشوا من فنهم • فكان عليهم ، بالطبع ، أن يبحثوا عن وسائل للكسب من ناحية أخرى ، كالتشجيع الذى كان يمدهم به مثلا عملاء من مختلف الجنسيات فى أوقات رخائهم ، فيصرفون لهم مرتبات معقولة أو يزودونهم سلفا ببعض المال ، حتى اذا ما توقف دولاب التبادل التجارى (كما حدث فى فترة الاحتلال اليابانى) اقتصر الفنان ، كما كان الحال فى الماضى ، على دخل عمله معتمدا عليه فى كسب قوته • ولسنا نقصد من هـــذا أن ذلك الفنـان لم يكن فنانا « حقيقيا » ، وانما أردنا أن نشير الى أن وسائل كسب العيش المعقول للفنـــان مشكلة من أخطر المشاكل فى اندونيسيا اذا بقى الفنان معتمدا على فنه وحـــده • ولهذه المشكلة جوانب أخرى ، فالرسام الجاوى الذى يقيم فى المـــدن الكبرى من هذه الجزيرة ، اكتسب قبيل الاحتلال اليابانى نوعا جـديدا من التذوق للفن الغربى الحديث (وخصوصا الفرنسى) • وعند انتهـاء الحرب توجه بعض هؤلاء الشبان الى أوروبا وقـــد ساعدتهم الحكومة الهولندية بعض المساعدة فى هذا السبيل • ولقيت معروضات بعضهم قبل سفرهم ، نجاحا كبيرا فى باتافيا أو غيرها من المـــدن الجاوية ، وكان معظم المشترين من الاوروبيين أو الامريكيين وفى بعض الاحيان من الاندونيسيين النافذين ممن يرغبون فى مساعدة أبناء جلدتهم • وينتسب هؤلاء غالبـا

الى الطبقة المستنيرة التى تدرك مضامين الفن ، مذتعلموا أن يتذوقوه أما فى أوروبا أو فى وطنهم •

ويتصل الرسام الجاوى الشاب أثناء اقامته فيأوروبا ، بالفنانين الغربيين هنالك، فيشجعونه كزميل لهم ويعرفونه على أساليب الحياة والتفكير فى أوروبا ، وأكثرها غريب عن معظم الاندونيسيين ، باستثناء المثقفين منهم • ثم يقيم صاحبنا معارض متفاوتة التوفيق فى المدن الاوروبية الهامة ويتصل بكبار الفنانين المعاصرين ، ثم يعود الى أندونيسيا • فماذا يحدث عند ذلك ؟

ان فنانا كهذا لايقوى ، بعد ذلك ، على العيش فى القرية لانه ألف حياة المدن الكبرى ، حيث يقدر الناس فنه ويدفعون الاثمان التى تعود أن يتقاضاها فى الخارج • وقديما ، كان الناس من أهل المدينة أو القرية ، يقدرون الفنان ويكنون له محبة واحتراما • أما الآن فان حاجزا يرتفع بين الطبقة المستنيرة فى المدينة وبين القروى الساذج الذى لم يبلغ بعد حدا من الثقافة يمكنه من تفهم الاتجاهات «المتحذلقة» للفن «الحديث» • ان هذه مشكلة جديدة لم تكن قائمة فى الماضى ، ولابد للسلطات الاندونيسية الحديثة من البحث عن وسائل لمداواتها بالتربية والتعليم فى المدارس ، والسينما والراديو والمحاضرات والجمعيات والنشرات الدورية والصحف ، على أن تبدأ عملية التعليم من الاساس ثم تتجه الى أعلى •

ج) مشكلة التذوق

لا شك ان مسألة تذوق الفنون الاهلية وانتاجها وممارستها بين الاندونيسيين أنفسهم باعتبارهم منتجين أومشترين ، لمن أهم المسائل

وأخطرها بالنظر الى حالة الفنان الاقتصادية ورفاهيته المادية • وكم من أوروبى استماله الفن الاندونيسى فى صـــوره المختلفة ، فصـــدم عندما رآه يتضاءل ويتدهور أو ينتحل صورا لاتتفق مع طبيعته الاصلية • ولا يسهون عن البال أن هذه الطبيعة الاصيلة ليست فى الواقع الا مســألة نسبية فقد يخيل الينا فى فترة معينة ان احدى صور الفن الاهلى تعـد أصيلة بينماكانت هناك ـ منذعهدقريب نسبيا ـ صورة أخرى أكثر اصالة منها • هذا ، وان معظم الاوروبيين لا يلمون بتاريخ الفن الاندونيسى من جميع نواحيه وكافة أطواره ، فهم لايرون فيالغالب الا جـــزءا منـه ، وما يريدون الابقاء عليه هو ذلك الجزء الذى عرفوه أثناء مقامهـم فى أندونيسيا ، ولكن الواقع ان تغييرات مستمرة قد حـــدثت فى هـــذا الميدان حتى فى الماضى البعيد ، دون أن يصل الى علمنا منها الاالقليــل • ونستطيع أن نستنتج من هذا القليل أن تلك التغييرات كانت أكثر ممـا نعتقد وهى ترجع جميعا الى الحاجات الجديدة التى يواجهها أى مجتمع أخذ يكيف فنه بمايطابق الاتجاهات العامة السائدة فى فترة معينة •

والى ذلك، فثمة مشكلة اضمحلال بعض الاشكال الفنية اضمحلالا تاما ، ولنضرب مثلا لذلك صناعة النسيج ولنفرض أن امرأة أندونيسية تحذق أشكالا مختلفة للنسج يثير اتقانها الاعجاب • فهل نصدق أنهـــا نبذت هذا الفن عن طيبة خاطر ورضيت «بالرخيص» من الانســـجة المستوردة ؟

هناك ردان على السؤال :

١ ـ ان الاندونيسية تجهل مانلم به نحن من صـــور للفن قامت فى الغرب خلال تاريخ الفن فى العالم • فهى لا تدرك الا ما رأته فى بيئتها

المنعزلة ولاتنظر الى أشكال نسيجها بمعايير الذوق التى تنظر بها نحن اليها • وهى اذ ترى أنسجة يلبسها قوم من الخارج ، تستهويها الجدة والحداثة ، ولاتبالى أن نعتبرها نحن «رخيصة» • فما شأنها هى وأساليبنا فى التذوق ؟ انها تريد أن تكون امرأة حديثة ، وأن تبرهن عن أنها ليست من «بنات الجبال » أما المنسوجات الجديدة التى تبدو قبيحة فى أعيننا فلها عندها ميزة جديدة وهى أن الآخرين يلبسونها ، وهى لاتقبل أن تتخلف عنهم •

وأهم من ذلك بالنسبة اليها ، ان المنسوجات المستوردة أرخص ثمنا • فاذا كان نسج قطعة من القماش يحتاج الى سنتين بالطرق القديمة فمن ذا الذى يبلغ به الحمق أن يشتريها أويطلبها ، وفى امكانه أن يحصل على النسيج الجاهز بثمن أقل ، وخاصة اذا اعتبرنا ماتعانيه القرية من ضيق العيش •

د) معاهد الفنون فى أندونيسيا

لاشك أن على أندونيسيا ، وقد أخذت تتأهب لتبوأ مكانها بين الامم ، أن تعنى بايجاد حل لمشكلة تعليم الفنون فى معاهدها الرسمية • ولئن كان هذا الحل موقوفا على جهود أهل أندونيسيا أنفسهم ، الا أنه لا يضيرهم ان يخصه الاجانب أيضا بناحية من اهتمامهم • وينجم عن هذا القول ان أول عمل ينبغى القيام به ، قبل ان تقوم فى هذا الصدد أية اجراءات رسمية قد يكتب لها الدوام ، هو جلاء بضع نقط تتصل بهذا الموضوع • فيجب أولا أن يكون الاشخاص الذين يقدمون المشورة فى كل منطقة على المام تام بالظروف الاقتصادية

والاجتماعية الخاصة بتلك المنطقة • فالظروف ليست واحدة فى جميع الانحاء ، بل تختلف اختلافا واسعا من منطقة الى أخرى • ويحسن الا تقدم المعونة ، حيث لا تكون هناك حاجة اليها ولا رغبة فيها ، والا أصبحت مثل هذه الخدمات عبئا على من هى مقصودة لصالحهم •

أما اذا شئنا أن نبحث عن الوسائل اللازمة لرفع المستوى المادى فى جماعة معينة عن طريق تنشيط الفنون الاهلية فيها ، فيجب علينا أولا أن نبدأ بدراسة وافية لماقد يترتب على هذه المساعدة المفتعلة من أثر فى كيان الجماعة الاقتصادى بكامله • فقد تتخذ بعض الاجراءات لتشجيع انتاج بعض الاشياء ، أو لادخال بعض الاشكال الجديدة على الفنون الاهلية ، فيأتى ذلك بنتائج غيرمرغوبة ، اذتصبح الفنون أقرب الى أن تكون « تجارية » أو « صناعية » • ولئن أسفر هذا الاسلوب عن رفع المستوى الاقتصادى للحياة عامة ، الا أنه يضر بقدرة الجماعة على ابداع الجمال وتقديره • ان الاكثار من انتاج الادوات قد يساعد فى الحصول على مبالغ أوفر من المال ، ردحا من الزمن • ولكن محبة المواد التى تصنع منها هذه الاشياء والالمام التام بطرق الانتاج ، قد يكون من شأنهما أن ينهضا بماتتمتع به الجماعة من المفاهيم الجمالية العامة • وهذه المحبة للمادة وماتنطوى عليه من امكانيات قد تؤدى من بعض الوجوه الى المساهمة فى بقاء الصور الفنية حية •

لقد جاء مرة راجا «ترافانكور» الى «بالى» وشاء أن يبتاع بعض الاقمشة لمتحفه ، ولكنه رأى أن ألوان الخيوط المستوردة لن تثبت طويلا اذا تعرضت لضوء الشمس ، فعدل عن الشراء •

ولو ان النخبة من أرباب الحرف الاندونيسيين يتاح لهم أن يمعنوا النظر فى منتجات أساتذة الصناعة من نفس الحرفة فى أماكن أخرى ، لاستطاعوا أن يدخلوا تحسينات على طرقهم ، دون أن ينبذوا أفكارهم الشخصية ولاأساليبهم الخاصة .

وتجدر الاشارة الى أن أحد مهرة الصناع من « بالى » قام برحلة الى « هولاندا » فأبدى اهتماما بالغا بمقارنة الوسائل التى تستعمل فى البلدين ، وراح يتباحث فى أمرها مع زميل من الفنانين الهولنديين ، فقام تفاهم تام بين الرجلين مع ان الضيف كان لا يتكلم لغة مضيفه .

واذا عمدت السلطات الى صياغة القواعد الخاصة ببعض صور الفن الاهلى ، صياغة خالية من المرونة ، فانها قدتبعث الجمود فى جهود فريق من الذين يحاولون أن يبتكروا شيئا جديدا . فالعمل على وضع تنظيم عام لاندونيسيا كلها قد يترتب عليه بعض الآثار الطيبة فىمنطقة يكون المنظم ذا علم بها ، بينما قد يكون له أثر سيىء فى منطقة أخرى غريبة على واضع هذا النظام . ولذا ، فينبغى للحكومة أن تقوم باستشارة الاشخاص المتحمسين للفن الشعبى المشغفين به ، وممن لهم بصيرة ثابتة فيما يتصل بأمور الاقتصاد والاجتماع . ولا بد من العناية بالمصالح الادبية للجانب المنتج والجانب المشترى فى معرض تحليل أذواق الجانبين . ولذلك يجب الاستعانة على بعث الهمم المحلية بأفراد مرهفى الحس يتذوقون الفنون الاندونيسية ويتحلون علاوة على ذلك ببعد النظر . وان الفرصة لسانحة للاجيال الناشئة ، ومن الواجب انتهازها اذ أنها لا تتوفر لكثير من الاقوام فى الوقت الحاضر . ولئن كانت الصور الفنية

القديمة آخذة فى الاندثار الا أنها ستبقى مصدر وحى لفنانى المستقبل. فهى وان كانت تنتمى الى عهد مضى الا انها تؤلف جزءا من تراث الوطن المشترك . وليس للناس فى أندونيسيا أن يخجلوا منها حين تعمد أوروبا وأمريكا بأسرها الى وضع هذه الفنون فى مرتبة أرفع ما أنتجه الانسان فى كل العصور .

قد يتساءل المرء الذى يبلغ مسامعه حديث انشاء معاهد للفنون والرقص والموسيقى فى أندونيسيا ، عما اذا كانت معاهد الفنون فى أوروبا وغيرها قد آثرت أثرا حسنا أوسيئا على الفنون الحية فى أى بلد معين ؟ ان هذا السؤال لعلى جانب كبير من الاهمية والتعقيديحتم استشارة المختصين فى العالم كله فى هذا الشأن ، مع الحرص على أن لا يترك أمر الحكم فيه لشخص عادى من الذين يشغلون الوظائف فى دواوين الوزارات ، وهم مجردون ، عادة ، من أى مؤهلات لمثل هذا العمل . وليس من الحكمة وضع برنامج سريع لمعهد للرسم أو النحت قبل الانتهاء من دراسة وافية للتجارب الحديثة التى جرت فىهذا الميدان فى البلاد الاخرى . وعلى الرغم مما قد يأتى به ذلك من نفع فانه لايصح ، على كل حال ، أن تتبنى أندونيسيا كامل مايطبقه العالم الغربى من أساليب فى تدريس الفنون ، فلهذه الدولة الناشئة حاجاتها الخاصة ، بل ربما اقتضى الامر أن تفضل على الطرق القديمة بعض الاساليب الحديثة التى تتلاءم مع تدريب فنانيها . ولاتخفى ، بالطبع ، صعوبة استنباط الخطط الجديدة ، ولكن ذلك ليس مستحيل التحقيق . ولاشك أن ايضاح الامكانيات المتوفرة فى هذا الميدان ، هو الذى حدا الى كتابة هذا المقال خدمة لمستقبل أندونيسيا .

التقرير الفردى الرابع

الفنون الاهلية فى بيرو

بقلم لويس أ • فالكارسل

١ ـ الفن القديم

ان للفن البيروى القديم الذى يرجع الى العصر قبل الكولمبى ، تاريخا يعرفه العالم أجمع بفضل تلك الروائع الخالدة المعروضة فى المتاحف الرئيسية • وقد بلغ «الانكاس» حدا لايجارى فى صنع المنسوجات وأنواع الخزف كما بلغوا درجة الكمال فى الفن المعمارى وفى استخدام الاحجار ، كما يشهد بذلك ما بقى من الاثار فى « كزكو » وغيرها من مدن البيرو •

٢ ـ الفن فى عهد الاستعمار الاسبانى

لقد أحرزت هذه الفنون شهرة لم تندثر ، بل استمرت الى حدما فى عهد الامبراطورية الاسبانية مستعينة ، أحيانا ، بأساليب مستمدة من أصول أوربية ، وخاصة فى صياغة الفضة • وفى عهد النيابة الملكية (من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر) ، كان الحكام يختارون الصناع والفنانين من صفوف الهنود والمولدين ويستعينون بهم

فى بناء الكنائس الكبرى وزخرفتها بالنقوش وبالحفر وأعمال النجارة الدقيقة المطعمة بالذهب والحلى المصنوعة من الفضة والذهب .

وكان وقتئذ لامريكا الجنوبية مدرستان مستقلتان للنقش ، واحدة فى « كزكو » والاخرى فى « كيتو » .

٣ ـ الفن المعاصر

لقد أدت التطورات الاجتماعية والسياسية الى الحد من النشاط الفنى . فالكنيسة لم تعد لديها القوة الكافية للاستمرار فى الانتاج على المعدل السابق ، بينما اقتصر الهنود والمولدون على الفنون الصغرى فأخذوا يكتفون بنسج ملابسهم الخاصة وصنع الفخار المنزلى ، ولم يبق للاقمشة الفنية الثمينة وللخزف النفيس من راغب ، وأعرض الناس عن تقدمة القرابين للآلهة وللموتى ، كما أعرضوا عن البناء بالحجر الصقيل .

٤ ـ المهارة الفنية

ولذا ، فقد يتصور المرء ان الهنود قد فقدوا ما كانوا عليه من مهارة فنية وانهم لن يستطيعوا القيام فيما بعد بأعمال دقيقة كالتى امتاز بها العصر الذهبى الانكاسى ، وان على العالم أن يقتنع بمنتجات قد تكون بدائية بعض الشىء أحيانا الاأنها أصيلة دائما حتى تجد فيها روح الابتكار عندهم منفذا تعبر فيه عن نفسها ، دون أن تبلغ فى هذا التعبير مدى تلك المزايا الرائعة التى يجدها الباحث الاثرى فى المقابر التى ترجع الى ما قبل العهد الكولمبى . ومع ذلك ، فقد سنحت فرصة لاثبات خطأ هذا الاعتقاد يوم افتتحت فى « ليما » بادارة السيد « ترومن بيلى » ، مؤسسة للنساجين الهنود الذين يعملون بمناسجهم البدائية الخاصة .

والسيد « ترومن بيلى » رجل شديد التعمق فى النسيج اليدوى (البيروى) القديم . فلم يمض زمن طويل حتى أنتجت المؤسسة أقمشة تضاهى المنسوجات القديمة فى جمال الصنعة واتقانها ، وأثبت الهنود انهم لم يفقدوا مهارتهم الفنية وانما كانوا فى انتظار الفرصة لاستعادتها . ولقد قمت بنفسى بتجربة مماثلة فى « كزكو » حيث عنيت بترميم حائط من عهدالانكاس كانت نصف مهدمة ، فأقامها البناءون الهنود بدقة واتقان يصعب معهما تمييز أعمال الترميم من القسم الاصلى . وتلك شهادة أخرى عن احتفاظ الهنود بمهارتهم الفنية فى تشكيل الحجارة والبناء .

٥ ـ ثروة الفنون الاهلية

تمتاز الفنون الاهلية فى بيرو بانها ذات ثروة لا تضاهى ، فلكل قسم من أقسامها الجغرافية ، بل لكل اقليم وناحية (والناحية فى بيرو هى أصغر قسم ادارى فى البلاد) مزاياه الخاصة . وتكفى الازياء البيرويه وحدها لتكوين متحف ضخم . واذا ما انتقلنا الى فن الموسيقى والغناء استطعنا الجزم بأن لكل منطقة من المناطق مجموعة من الرقصات والاغانى تختلف باختلاف المناسبات ، ويبلغ عددها فى كل البلاد ألوف الاغانى ومئات الرقصات ومن البداهة أن لا يبقى هذا الانتاج الفنى الضخم جامدا لا يتبدل . فلا سبيل الى القول ان الاغانى والرقصات والثياب باقية على ما كانت عليه فى العصور القديمة ، لانها قد تغيرت كثيرا دون أن تفقد شيئا من طابعها الوطنى . أما الاشياء التى اقتبسها السكان عن الاسبان فانها قد تطورت أيضا تطورا كبيرا ، فالمونتيرا مثلا ـ وهى قبعة اسبانية ـ

أصابها من التطور ما لايخطر ببال . وقد أصاب مثل هذا التطور بعض الآلات الموسيقية كالمعزف والقيثار .

٦ ـ بعض المشكلات

ومع ذلك فان أخطارا بالغة تحدق بالتراث الفنى العظيم فى بيرو ، اذا لم يبد الاخصائيون مشورتهم في الوقت المناسب ، وهـــذا مانلتمس الحصول عليه من اليونسكو ، اذ يجب التعاون على انقاذ ما يمكن انقاذه من ذلك التراث الفنى الفريد ، بالعمل على تربية السكان الهنود وتعليمهم .

وفيمايلى نعرض لاهم مانواجهه فى هذا الصدد من مشاكل ، وهى مشاكل يواجهها كثير من البلاد الاخرى دون ريب :

١ ـ تحتاج حركة السياحة فى الوقت الحاضر الى انتاج يجمـــع الغزارة الى السرعة .

٢ ـ ان آلات الصناعة الاوروبية ووسائلها (كدوامة الخزاف والمناسج التى تدار بالقدم وآلات الخياطة وصـبغات الانيلين وغيرها) تلاقى رواجا مطردا فى بيرو ، وذلك يضعف قيمة المنتوجات الفنية بشكل ظاهر .

٣ ـ ان النقوش التزيينية الوطنية الحية تكاد تطغى عليها نقـــوش تستوحى الآثار القديمة أوالاساليب الاجنبية .

٤ ـ تحل رسوم الاسود الغريبة والنباتات الاوروبية محل الرسوم التى تمثل مافى البيئة المحلية من نبات وحيوان

٥ ـ أصبحت الاغانى والرقصات الاهلية مجرد واجبات تؤدى ، وقد تكيفت لارضاء الذوق الرائج ، فتدهورت تدهورا خطيرا •

٦ ـ للفن الاهلى عدوان داخليان الهندى نفسه الذى بدأ ينظر الى هذا الفن كدليل على النقص الاجتماعى ، والبيروى الذى يحتقره باعتباره شيئا يمثل الطبقة الدنيا • فكلاهما يفضل مايرد من الخارج باعتباره دليلا على المدنية ، وكلا الفريقين يتأثر بالسينما والراديو تأثرا كبيرا •

٧ ـ التعليم والفن الاهلى

يمكن تلخيص المشكلة الكبرى فيما يلى :

اذا اعتبرنا التعليم أداة لنشر الثقافة الغربية ، فالى أى حد يستطيع ذلك التعليم أن يقبل قيمة بعض التعبيرات الفنية الحية التى ابتدعتها جماهير الاميين ؟ لقد قيل صوابا عن الفنون الاهلية انها « صمام الامن الانفعالى » ويجدر بنا فى معالجة هذه الفنون أن نعرف الى أى حد يمكن قبولها كمادة تعليمية ، حرصا على المبدأ القائل بوحدة التعليم سواء أكانت هذه الوحدة تسمى بالوطنية أم بالثقافة الغربية •

وهنالك سؤال رئيسى آخر ، وهو ما اذا كان الاميون يحبون هذا الفن حقا أم أنهم يؤثرون الاعراض عنه مفضلين عليه ذلك الفن الذى ينتسب الى «الفنانين الكبار» والذى يروج بين الطبقات «المتمدنة » ؟

٨ ـ الاعراض عن الزى الوطنى

ويمكن أن تتخذ الزى مثالا موضحا لما نقصد اليه هنا • فالهندى فى بيرو يميل ميلا سريعا الى الاقلاع عن زيه التقليدى، وقد وصلت عنده

عدوى المساواة الى ثيابه ، اذ يشعر ان الملابس الوطنية تعزله عن المجتمع الذى يتطلع اليه وتنقص من قدره فى أعين أهل هذا المجتمع ، وذلك ان كل انسان سيحكم عليه من زيه انه هندى ، وبالتالى « كائن متأخر » • أما اذا لبس مايلبسه غيره من الناس فانه يتخلص من تلك السمة الظاهرة للانحطاط • ولئن كان فقراء الهنود وسكان الريف لا يزالون يقومون بصنع الملابس العادية فى الاماكن المنعزلة الفقيرة من هضبات «السيرا» الا أن الهنود فى بعض الوديان الغنية والمدن قد أقلعوا عن نسج ملابسهم وراحوا يبتاعون حللا جاهزة •

٩ ـ الاقتصاد الوطنى والفن

لا ريب ان تنمية الفن الاهلى من شأنها ان تساهم فى النهوض بمستوى حياة الهنود ، فى النطاق الاقتصادى • ان معظم السكان الهنود يتعاطون الاعمال الزراعية ، ويستطيع الهندى ، كما كان شأنه فى العهد قبل الكولمبى ، أن يستغل وقت فراغه من أعمال الحقل فى الاشتغال بالصناعات المنزلية والفنون الصغرى ، فيزيد بذلك من دخله •

١٠ ـ تنظيم الاعمال لتنمية الفنون الاهلية

يمكن لبلاد البيرو أن تلجأ الى المؤسسات والوسائل الآتية للاستمرار فيما شرعت به من الاعمال فى سبيل تنظيم الفنون لاهلية وتنظيمها :

١ ـ متحف الثقافة البيروية ، وهو منشأة حديثة (١٩٤٦) • ويشتمل هذا المتحف على معهد الفن « البيروى » ، ومعهد دراسات السلالات البشرية ومعهد الدراسات التاريخية •

ويعنى المعهد الآن بترتيب مجموعاته ، وقد قام بتنظيم ثلاثة معارض (ا) لاعمال الصياغة (ب) للاقنعة (ج) للوحات التى تمثل مشاهد من حياة الناس ، وبادر الى تنظيم مجموعات من القطع الموسيقية والاغانى والاساطير والخرافات ، مستعينا على ذلك بالتسجيل على الاسطوانات واستعمال آلات التصوير العادية وآلات التصوير السينمائى ، ويقوم المتحف بالتعاون مع جامعة « ليما » والهيئات العلمية فى شمال أمريكا بتتبع الدراسات البشرية فى أجزاء متعددة من البلاد .

٢ – يقوم قسم الفوللكور التابع لادارة التربية الفنية بوزارة المعارف يعاونه آلاف من المدرسين فى جميع أنحاء الجمهورية بجمع كل ما يمكن جمعه مما يتصل بالآداب الشعبية . وقد بدأ هذا القسم بتنظيم سجلاته كما أصدر سفرا يشتمل على مجموعات من الاساطير الشعبية والقصص القديمة .

٣ – يقوم معهد دراسات السلالات البشرية التابع لجامعة سان ماركس فى « ليما » (كلية الآداب) بالتدريس وتدريب الباحثين واجراء الابحاث فى هذا الحقل وقد بدأ فعلا فى تنظيم سجلاته .

٤ – يقوم معهد الفنون اليدوية التابع لوزارة الانتاج بتشجيع الصياغة وصناعة المنسوجات والخزف والخشب ، كما يقوم بتدريب العمال على هذه الحرف فى معمله الخاص . ومقر هذا المعهد فى « ليما » ويفتتح قريبا مركزا فى « كزكو » .

٥ – تقوم مدرسة « كزكو » للفن الاقليمى بمحاولة لبعث الصناعات التقليدية الوطنية كالصياغة ، والنسيج والحفر علـى الخشب وصناعة الفخار .

٦ – تقوم المدرسة الاهلية للرسامين البيوريين – ويمدها بالمال معهد الفنون البيورى – بعرض مصنوعات تلاميذها الذين يستوحون الفن الاهـلى .

٧ – جماعة الآداب الشعبية بين الامريكيتين ، ومقرها « ليما » ، وهى تابعة لمعهد « الجامعة » الامريكية للتاريخ والجغرافيا .

٨ – المتحف الوطنى للدراسات « الاركيولوجية » وهو من أغنى متاحف العالم وكثيرا ما يزوره الطلاب الذين يدرسون الفن الهندى قبل الكولمبى .

٩ – أخذمعهد الفن « البيروى » فى طبع نشرات عن الفن الاهلى ، وكان موضوع أولاها « الثور فى الفن الشعبى » .

١٠ – وقد افتتح المعهد الوطنى للموسيقى قسما خاصـا للموسيقى البيروية الجمعية . وهنالك عدد من الجمعيات لتشجيع الرقصات الاهليـة .

١١ – تنشر الحكومة قريبا المجموعة الموسيقية النفيسة التى قام بجمعها خبير الآداب الاهلية « دانيال الورين دوبلز » .

١٢ – تقام مهرجانات دورية للموسيقى الاقليمية والرقص والغنـاء والازياء (ليما ٢٤ يونيه (حزيران) ، كسكو ٤ – ٣٠ يونيو (حزيران) .

١٣ ـ كان للمواصلات ، وللنزعة الحديثة لدى الطبقات العليا الى جمع منتجات الفنون الاهلية ، أثر فى تنمية الفنون الاهلية ، وهنالك اتحاد وطنى للسياحة •

١٤ ـ يكشف كل سوق من الاسواق عن رغبة متزايدة فى الحصول على منتجات الفن الاهلى •

لائحة بأسماء الاعضاء

الرئيس الدكتور ج. و. لوشر ـ مدير متحف الفنون الاهلية ، ليدن ـ هولندا

باقى الاخصائيين : مسيو ب.ل. دوشارتر ـ متحف اللوفر ـ باريس ، فرنسا

الاستاذ ث. جالستين المعهد الهندى ، امستردام ـ هولندا

مسيو ح. م. جادو ـ نائب رئيس لجنة الفنون والصنائع الاهلية ـ تورناى ـ بلجيكا